حكايات جدو علي

حكايات لبنين

علي بدوي

بسم الله الرحمن الرحيم

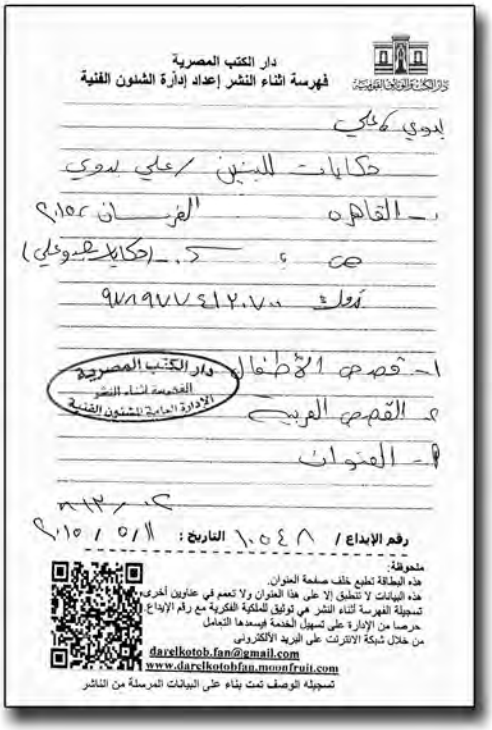
دار الكتب المصرية
فهرسة اثناء النشر إعداد إدارة الشئون الفنية

بدوي، علي
حكايات للبنين / علي بدوي
ـ القاهرة : ماس للنشر والتوزيع، 2015
ص ؛ سم (حكايات علي بدوي)
ردمك: 978-977-413-070-0
1- القصص الأطفال
2- القصص العربي
3- العنوان
رقم الإيداع / 10548 التاريخ : 2015/5/11
ملحوظة:
هذه البطاقة تطبع خلف صفحة العنوان.
هذه البيانات لا تنطبق الا على هذا العنوان ولا تعمم في عناوين أخرى.
تسجيلة الفهرسة أثناء النشر هي توثيق للملكية الفكرية مع رقم الإيداع
حرصا من الإدارة على تسهيل الخدمة فيسعدها التعامل
من خلال شبكة الانترنت على البريد الألكتروني
darelkotob.fan@gmail.com
www.darelkotobfan.moonfruit.com
تسجيله الوصف تمت بناء على البيانات المرسلة من الناشر

دار الكتب المصرية
الفهرسة أثناء النشر
الإدارة العامة للشئون الفنية

اسم الكتاب: حكايات للبنين

تأليـــف: علي بدوي

القطـــع: 17×24

عدد الصفحات: 64

سـنة الطبع: 2015م/ 1436هـ

الناشـــر: ماس للنشر والتوزيع

رقم الإيداع بدار الكتب والوثائق المصرية مصر

2015/10548

الترقيم الدولي

978-977-413-070-0

الْحَاجُ أَحْمَدُ

كُلُّ مَنْ يَتَذَكَّرُهُ يَقُولُ:

رَحِمَكَ اللهُ يَا عَمَّ الْحَاجِّ أَحْمَدَ...

لَقَدْ كَانَ مِثَالاً لِلرّجُلِ الشَّهْمِ الشُّجَاعِ... وَقَفَ هُوَ وَمَنْ كَانَ مَعَهُ مِنْ جِيلِهِ وَصَحْبِهِ مِنْ رِجَالاَتِ القَرْيَةِ وَقْفَةً لَنْ تُنْسَى بَيْنِ أَهْلِ القَرْيَةِ فِي وَجْهِ مَنْ أَرَادَ بِهِمُ السُّوَءَ...

ضَرَبُوا مَثَلاً – كَمَنْ سَبَقَهُم فِي أَنْحَاءِ مِصْرَ الْمَحْرُوسَةِ – فِي مُوَاجَهَةِ الظُّلْم بِالتّعَاوُنِ وَالتَّرَابُطِ حَتّى دَحَرُوهُ وَكَوّمُوهُ، وَكَفُّوا يَدَاهُ عَنْهُمْ، وَعَنْ أَهْلِ قُرَاهُمُ البُسَطَاءِ...

وَلَكِنَّ الْحَاجَّ أَحْمَدَ كَانَ مُتَمَيِّزًا ... نَعَمْ كَانَ مُتَمَيِّزًا فِي أَشْيَاءَ كَثِيرَةٍ...

يَتَذَكَّرُ أَهْلُ القَرْيَةِ عِنْدَمَا ضَاقَتْ بِهُمُ الزَّاوِيَةُ الّتِي اتَّخَذُونَهَا لِلّصَلاَةِ، فِي جَانِبٍ مِنْ جَوَانِبَ القَرْيَةِ الطّيّبَةِ فَفَكّرُوا أَنْ يَبْنُوا مَسْجِدًا كَبِيرًا...

بَدَأَ أَهْلُ القَرْيَةِ فِي البَحْثِ عَنْ قِطْعَةِ الأَرْضِ الّتِي سَيُبْنَى عَلَيْهَا الْمَسْجِدُ... وَبَعدَ جُهْدٍ جَهِيدٍ عَثَرُوا عَلَيْهَا...

كَانَتْ قِطْعَةُ الأَرْضِ الّتِي وَقَعَ عَلَيْهَا الاخْتِيَارُ فِي وَسَطِ البَلْدَةِ أَوْ قَرِيبَةً مِنْ وَسَطِهَا... وَكَانَتْ بِجِوَارِ بَيْتِ عَمِّ الْحَاجِّ أَحْمَدَ...

تَعَاوَنَ الأَهَالِي جَمِيعُهُمْ فِي إِنْشَاءِ الْمَسْجِدِ كُلٌّ حَسْبَ طَاقَتِهِ وَجَهْدِهِ... إِلاَّ نَذْرٌ يَسِيرٌ كَانُوا يَكْرَهُونَ الْخَيْرَ وَأَهْلَهِ وَهؤُلاءُ هُمُ الفِئةُ الْمكرُوهةُ فِي البَلدةِ...

هَذَا أَتَى بِالْمَالِ... وَذَاكَ تَبَرّعَ بِبَعْضِ الطُّوبِ اللاَزِمِ لِبِنَاءِ الْحَوائِطِ... وَآخَرُ جَادَ بِبعضِ الأَسْمَنْتِ...

وَكَثِيرُونَ جَاءُوا بِأَشْيَاءَ عَيْنِيّةٍ كَثِيرَةٍ... وَهَذَا الّذِي لَمْ تَكُنْ يَدَاهُ تَمْلِكُ مِنَ الْمَالِ شَيْئًا فَسَاهَمَ بِجُهْدِهِ وَعَرَقِهِ...

وَمَا إِنْ قَارَبَ الْمَسْجَدُ عَلَى الانْتِهَاءِ وَالتَّشْيِيدِ حَتّى أَصَابَ أَهْلَ القَرْيَةِ الْجَهْدُ، وَنَفَذَتْ كُلُّ مَا لَدَيْهِمْ مِنْ مُؤَنٍ وَعَتَادٍ، وَكَانُوا لاَ يَجِدُوا مَا يَكْفِي مَعِيشَتَهُمْ...

كَانَ الْمَبْلَغُ الْمَطْلُوبُ لِلانْتِهَاءِ مِنَ التّشْيِيد قَليلاً... اجْتَمَعَ جَمِيعُ أهلِ القَريةِ الطّيبةِ لَكْي يَبْحَثُوا مِنْ أَيْنَ يُدَبِّرُوا الْمَبْلَغَ الْمَطْلُوبَ...

لَمْ يَكُنْ الْحَاجُّ أَحْمَدُ مَوْجُودًا مَعَهُمْ... كَانَ يَبْحَثُ بِطَرِيقَتِهِ الأُخْرَى عَنِ الْمَبْلَغِ... أَلَمْ أُخْبِرُكُمْ بِأَنَّهُ – رَحِمَهُ اللهُ – كَانَ مُتَمَيِّزًا...

أَعْيَاهُمْ التَّفْكِيرُ وَلَمْ يَصِلُوا إِلَى مَصْدَرٍ لإِيجَادِ هَذَا الْمَبْلَغِ الْمَطْلُوبِ... وَفِي ذُرْوَةِ جَهْدِهِمْ وَإِعْيَائِهِمْ مِنَ التّفْكِيرِ إِذْ بِالْحَاجِّ أَحْمَدَ يَأْتِي بِمَشْيَتِهِ الْمَعْهُودَةِ لَهُمْ... مَشْيَةِ بَطَلٍ مِغْوَارٍ لاَ تَعْيِهِ أَيُّ مَواقِفٍ مَهْمَا كَانَتْ...

فَهُوَ فَوْقَ كُلِّ هَذِهِ الْمَوَاقِفِ وَأَكْبَرُ مِنْهَا... لَقَدْ جَاءَ وَالانْتِصَارُ يَعْلُو فَوْقَ جَبِينِهِ الْمُرْتَفِع، وَضِحْكَتُهُ الْمعْهُودةُ تَمْلأُ فَمَهُ الْمَفْتُوحَ قَلِيلاً... نَعَمْ لَقَدْ جَاءَ بِمَا يَحْتَاجُهُ الْمَسْجِدُ لإِتْمَامِهِ، بَلْ يَفِيضُ عَنْ ذَلِكَ بِقَلِيلٍ...

فَرِحَ الْجَمِيعُ وَتَهَلَّلَتْ وُجُوهُهُمْ بِالبِشْرِ وَالسُّرُور.... وَسَأَلُوهُ عَنْ مَصْدَرِ الْمَالِ الّذِي جَاءَ بِهِ... فَلَمْ يُخْبِرْهُمْ... أَصَرُّوا عَلَى أَنْ يَعْرِفُوا؛ وَهُوَ أَصَرَّ عَلَى أَلاَّ يُخْبِرَهُمُ... تَذَكَّرُوا أَنَّهُ كَانَ مُتَمَيِّزًا...

تَمَّ بِنَاءُ الْمَسْجِدِ وَتَشْيِيدُهُ، وَكَانَ الْحَاجُّ أَحْمَدُ هُوَ إِمَامُهُمْ، لأَنَّهُ كَانَ مِنْ أَحْفَظِهِمْ لِلْقُرْآنِ وَأَتَمِّهِمْ لِتَجْوِيدِهِ...

بَعْضٌ مِنَ الّذِينَ كَانُوا يُرِيدُونَ أَنْ يَعْرِفُوا مَصْدَرَ الْمَالِ الّذِي أَتَمَّ هَذَا الصَّرْحَ الشَّامِخَ إِلَى يَوْمِنَا هَذَا، أَخَذَ يَتَحَسَّسُ الأَمْرَ لِيَعْرِفَ مَا لَمْ يَقُلْهُ الْحَاجُّ أَحْمَدُ...

تَتَبَّعَ مَسِيرَ الْحَاجِّ أَحْمَدَ، فِي ذَلِكَ اليَوْم، مِنْ سَاعَةِ خُرُوجِهِ مِنْ بَيْتِهِ، إِلَى أَنْ جَاءَ إِلَيْهِمْ فِي إِجْتَمَاعِهِمْ بِالْمَسْجِدِ

يَسْأَلُ هَذَا... وَيَتَتَبَّعُ ذَاكَ... وَيَسِيرُ وَرَاءَ أَخْبَارِ الْحَاجِّ أَحْمَدَ خُطْوَةً بِخُطْوَةٍ... أَخْبَرَهُ أَحَدُ الْمُزَارِعِينَ أَنَّ الْحَاجَّ أَحْمَدَ فِي ذَلِكَ اليَوْمِ كَانَ يَسْحَبُ جَامُوسَتَهُ، وَيَسِيرُ بِهَا نَحْوَ الْمَرْكَزِ الَّذِي كَانَ يُعْقَدُ فِيهِ السُّوقُ الأُسْبُوعِيُّ لأَهْلِ القُرَى الْمُجَاوِرَةِ لِمَدِينَتِهِ... ذَهَبَ صَبَاحًا بِالْجَامُوسَةِ وَرَجَعَ ظُهْرًا مِنْ غَيْرِهَا... كَانَتِ الْجَامُوسَةُ هِيَ الْمَصْدَرُ الأَسَاسِيُّ لِدَخْلِ الأُسْرَةِ وَمَا يَعِيشُ عَلَيْهِ أَوْلَادُهُ الذُّكُورُ الكَثِيرُونَ، واثْنَتَانِ منَ البنَاتِ فَقَطْ...

ذَهَبَ هَذَا الرَّجُلُ لِمَنْزِلِ الْحَاجِّ أَحْمَدَ وَكَانَتْ تَرْبُطُهُ بِهِ عِلاَقَةُ قَرَابَةٍ قَوِيّةٍ لِيَسْأَلَ عَنْ صِحَّةِ الْخَبَرِ... وَجَدَ أَنَّ الْخَبَرَ صَحِيحٌ... لَقَدْ بَاعَ الْحَاجُّ أَحْمَدُ جَامُوسَتَهُ لِيُتِمَّ تَشْيِيدَ مسْجِدِ القَرْيَةِ الكَبِيرِ... أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ أَنَّ الْحَاجَّ أَحْمَدَ كَانَ مُتَمَيِّزًا...

لَيْسَ هَذَا هُوَ الْجَانِبُ الْمُتَمَيِّزُ مِنْ حَيَاةِ هَذَا العَظِيمِ الْحَاجِّ أَحْمَدَ، وَلَكِنْ كَانَتْ هُنَاكَ جَـوانِبُ كَثِيرَةٌ مِتَمِيِّزَةٌ

أَصْبَحَ بِهَا مَثَلاً يُحْتَذَى لِمَنْ جَاءَ بَعْدَهُ... وَيالَيْتَهمْ فَعلُوا مِعْشَارَ مَا فَعلَ، هَمُّهُمُ الآنَ أنْ يُقَالَ عنْهُمْ، وَغَايَتُهمُ القُصْوَى حُبُّ الْمَحْمَدةِ، لاَ وصَلُوا لِرِضَا وَلاَ نَالُوا جَمَالاً، يَعْنِي لا (رِضَا) الله وَصَلُوا، وَلاَ (جَمَالٌ) عِنْدَ النّاسِ نَالُوا لَيْتَهُمْ اقْتَفُوا أثَرَكَ وَاحْتَذوا حَذوَكَ، لِيَكُونُوا مِثَالاً يُضْرَبُ لِلرَّجُلِ العَظِيم مثْلَكَ...

نَعَمْ إِنَّهُ كَانَ عَظِيمًا...

كَانَ عَظِيمًا فِي نَفْسِهِ... كَانَ عِظِيمًا فِي فِعْلِهِ... كَانَ عَظِيمًا مَعَ رِبِّهِ – إِنْ شَاءَ الله –...

وَلَكِنَّهُ كَانَ إِنْسَانًا... يُصِيبُ وَيُخْطِئُ... وَلَكِنَّ أَخْطَاءَهُ كَانَتْ مَعْدُودَةً...

الآنَ الكُلُّ يَدْعُو: غَفَرَ الله لَكَ... وَرَحِمَكَ... وَأَسْكَنَكَ فَسِيحَ جَنَّاتِهِ... يَا عَمَّ الْحاجِّ أَحْمَدَ...

كن متميزا لتحوز محبة الناس في الدنيا
ورضا الله في الآخرة

الْحِيلَةُ الذَّكِيَّةُ

بَحَثَ الأَسَدُ فِي الغَابَةِ فَلَمْ يَجِدْ صَيدًا يَقْتَاتُ بِهِ وَيُطْعِمُ بِهِ صِغَارَهُ... وَكَانَتْ كُلُّ الْحَيَوانَاتِ تَخْتَبِئُ مِنْهُ خَوْفًا مِن انْقِضَاضِهِ عَلَيْهَا وَالْتِهَامِهِ لَهَا... اسْتَمَرَّ هَذَا الْحَالُ حَتّى أَشْرَفَ الأَسَدُ عَلَى الْهَلاَكِ هُوَ وَأَشْبَالُهُ...

فَكَّرَ الأَسَدُ فِي حِيلَةٍ ذَكِيَّةٍ... أرسلَ لِكُلِّ الْحَيَوانَاتِ رِسَالَةً... مُحْتَوى هَذِهِ الرِّسَالَةِ:

أَنَّ الأَسَدَ مَرِيضٌ وَلاَبُدَّ لِكُلِّ الْحَيوانَاتِ أنْ تَزُورَهُ وَتَعُودَهُ فِي عَرِينِهِ... شَرِيطَةَ أَنْ يُرْسِلَ كُلُّ نَوْعٍ مِنْ أَنْوَاعِ

الْحَيوانَاتِ مَنْدُوبًا عَنْهَا لِزِيارَةِ مَلِكِ الغَابَةِ... وَأَنْ يَأْتِيَ كُلَّ يَوْمٍ مَنْدُوبٌ... وَيَتعهَّدُ الأسَدُ بِسَلاَمَةِ وَأَمَانِ كُلِّ الْحَيوانَاتِ الّتِي تَأْتِي إِلَيْهِ لِتعُودَهُ فِي مَرَضِهِ...

أَرْسَلتِ الغِزْلاَنُ غَزَالاً كَبِيرًا فِي السِّنِّ ضَخْمًا فِي الْجِسْمِ وَكَانَ هَذَا الغَزَالُ مِنْ أَحْسَنِ أَفْرَادِ قَطِيعِ الغِزْلاَنِ... فَذَهَبَ فِي اليَوْمِ الأَوَّلِ... ثُمَّ أَرْسَلَتِ الظِّبَاءُ ظَبْيًا مِنْ أَفْضَلِ أَفْرَادِهَا وَأَحْسَنِهَا مَنْدُوبًا لَهَا فِي اليَوْمِ الثَّانِي... ثُمَّ أَرْسَلَتِ الْخِرَافُ أَكْبَرَ خَرُوفٍ عِنْدَهَا لِكَيْ يَكُونَ مَنْدُوبًا عَنْهُمْ لِزِيَارَةِ الأَسَدِ الْمَرِيضِ، وَذَلِكَ فِي اليَوْمِ الثَّالِثِ، ثُمَّ أرسلتِ الأبْقارُ، ثُمَّ غيرُ ذَلكَ منْ الْحَيوانَاتِ...

وَلَمَّا جَاءَ الدَّرْوُ عَلَى الثَّعَالِبِ لِتُرْسِلَ مَنْدُوبًا لَهَا إِلَى سَيِّدِ الغَابَةِ الْمَرِيضِ فِي عَرِينِهِ... نَادَى كَبِيرُهُمْ إِلَى إِجْتِمَاعٍ كَبِيرٍ لِيَخْتَارُوا الْمَنْدُوبَ...

وَقَفَ كَبِيرُ الثَّعَالِبِ يُحَدِّثُهُمْ:

مَنْ تُرَشِّحُونَ لِزِيَارَةِ الأَسَدِ نِيَابَةً عَنَّا جَمِيعًا؟!!!

تَعَالَتِ الأَصْوَاتُ:

نُرْسِلُ فُلانًا... لاَ لاَ بَلْ فُلاَنًا... لاَ لاَ نُرْسِلُ فُلاَنًا فَإِنَّهُ نِعْمَ مَنْ يُمَثِّلُنَا أَمَامَ الأَسَدِ...

فِي ظِلِّ هَذَا الْهَرَجِ وَالضّجِيجِ وَتِلْكَ الأَصْوَاتِ الْمُتَعَالِيَةِ بَرَزَ ثَعْلَبٌ صَغِيرٌ مِنْ وَسَطِ جُمُوعِ الثَّعَالِبِ الْحَاشِدَةِ وَاسْتَأْذَنَ فِي كَلِمَةٍ...

جَدِّي الثَّعْلَبُ الكَبِيرُ، هَلْ لِي أَنْ أُدْلِي بِرَأْيِي ؟!!!

الثَّعْلَبُ الكَبِيرُ:

عَلَيْنَا الْهُدُوءَ حَتّى نَسْمَعَ هَذَا الوَلَدَ الصَّغِيرَ...

تَعَالَتْ أَصْوَاتُ بَعْضِ الثَّعَالِبِ الكِبَارِ: كَيْفَ تَسْمَحُ يَاكَبِيرَنَا لِهَذَا الغُلاَمِ بِأَنْ يَكونُ لَهُ رَأْيٌ ؟!!!

رَدَّ عَلَيْهِمُ كَبِيرُهُمْ:

لاَ تَسْتَهِينُوا بِالصِّغَارِ، فَلَرُبَّمَا يَكُونُ عِنْدَهُمْ مِنَ الفَهْمِ وَالْمَعْرَفَةِ مَا لَيْسَ عِنْدَ غَيْرِهِمْ مِنَ الكِبَارِ...

سَكَتَتْ أَصْوَاتُ الثَّعَالِبِ رُوَيْدًا رُوَيْدًا وَسَـــطِ زَمْجَرَةِ

الْمُعْتَرِضِينَ ...

قَالَ الثَّعْلَبُ الصَّغِيرُ:

سَيِّدِي الثَّعْلَبُ الكَبِيرُ... آبَائِي الثَّعَالِبُ الكِبَارُ... إِخْوانِي الثَّعَالبُ الصِّغَارُ... لَقَدْ لاَحَظْتُ مُلاَحَظَةً غَرِيبَةً جِدًّا... لاَحَظْتُ أنَّ كُلَّ الْحَيوَانَاتِ الّتِي تَذْهَبُ إِلَى عَرِينِ الأَسَدِ آثَارُ أَقْدَامِهَا ظَاهِرَةً وَوَاضِحَةً فِي طَرِيقِ الذِّهَابِ... لَكِنّ لَيْسَ لأَقْدَامِهَا أَيُّ أَثَرٍ فِي طَرِيقِ العَوْدَةِ!!!

رَدَّتْ بَعْضُ الثَّعَالِبُ:

نَعَمْ... نَعَمْ... هذَا صَحِيحٌ...

قَالَ الثَّعْلَبُ الكَبِيرُ:

أَصَبْتَ أَيُّهَا الصَّغِيرُ... وَأَنْقَذْتَ حَيَاةَ وَاحِدٍ مِنَّا مِنِ افْتِرَاسِ الأَسَدِ لَهُ...

وَاتَّجَهَ لِجُمُوعِ الثَّعَالِبِ قَائِلاً:

أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ: أَنَّ بَعْضَ الصِّغَارِ وَالشَّبَابِ عِنْدَهُمْ مِنَ العِلْمِ وَالْمَعْرَفَةِ مَا لَيْسَ عِنْدَ غَيْرِهِمْ مِنْ كِبَارِ السِّنِّ...

وأَيْضًا الكِبَارُ عِنْدَهُمْ مِنَ الْخِبْرَةِ وَالْحِنْكَةِ مَا لَيْسَ عِنْدَ الصِّغَارِ وَالشَّبَابِ...

يَجِبُ أَنْ يَكُونَ قَرَارُنَا نَابِعًا مِنْ كِلَا الرَّأْيَيْنِ:

رَأْيِ الكِبَارِ مَعَ الأَخْذِ فِي الاعْتِبَارِ آرَاءَ صِغَارِنَا... لِكَيْ نَصِلَ إِلَى القَرَارِ الصَّحِيحِ...

وَفِي النِّهَايَةِ لَابُدَّ أَنْ نَصِلَ لِهَذِهِ النَّتِيجَةِ الَّتِي نَسْتَخْلِصُهَا مِنْ حِيلَةِ الأَسَدِ الذَّكِيَّةِ... الَّذِي تَمَارَضَ لِكَيْ يُوقِعَ بَعْضَ الْحَيوَانَاتِ فِي بَرَاثِنِهِ وَيَفْتَرِسَهُمْ دُونَ بَذْلِ جُهْدٍ مِنْهُ...

وَهَذِهِ النَّتِيجَةِ هِيَ:

عَلَيْنَا أَنْ نُصَدِّقَ مَا تَرَاهُ أَعْيُنُنَا...

لَا مَا تَسْمَعَهُ آذَانُنَا...

٣

الخَروفُ المَغْرُورُ

أَسْنَدَ الرَّاعِي ظَهْرَهُ عَلَى جِزْعِ الشَّجَرَةِ الَّتِي يَمُرَّ بِجَانِبِهَا هَذَا الْجَدْوَلُ الصَّغِيرُ الرِّقْرَاقُ... وَقَدِ انْحَنَتْ عَلَيْهِ وَكَأَنَّهَا تَشْكُرُهُ لأَنَّهُ أَمَدَّهَا بِينْبُوعِ الْحَياةِ... نَاظِرًا بِعَيْنَيهِ اللاَّتِي مَلأَهُمَا النُّعَاسُ فِي مَاءِهِ العَــذْبِ الْجَمِيلِ... فَتَلأْلأَتْ صُورَتُهُ فَوْقَ صَفَحَاتِ الْمِيَاهِ الْجَارِيَةِ... يُغَلِّفُ هَذَا الْمَنْظَرَ الْجَمِيلَ صَوْتُ العَصَافِيرِ وَالبَلاَبِلِ؛ الْجَمِيلُ اللّحْنِ؛ العَذْبُ الْمَسْمَعِ...

انْشَغَلَ الرَّاعِي بِهَذَا الْمَنْظَرِ الْجَمِيلِ الرَّائِعِ عَنْ أَغْنَامِهِ الّتِي سَاقَهَا أَمَامَهُ مِنْ حَظِيرَتِهِ إِلَى هَذِهِ البُقْعَةِ الْخَضْرَاءِ الّتِي

تَجُودُ أَرْضُهَا بِكُلِّ أَنْواعِ الأَعْشَابِ، لِتُطْعِمَ أَغْلَبَ بَهَائِمِ الرَّعَاةِ فِي هَذِهِ الْمِنْطَقَةِ النَّائِيَةِ عَنِ العُمْرَانِ... وَالّتِي تَجْعَلُ الأَغْنَامَ وَالأَبْقَارَ وَغَيْرَهُمَا مِنَ البَهَائِمِ تُدِرُّ مَزِيدًا مِنْ أَلْبَانِهَا لِكَيْ يَشْرَبَهَا أَوْ يَبِيعَهَا أَصْاحَبُهَا لِيَعِيشُوا مِنْهَا هُمْ وَأُسَرُهُمْ الصَّغِيرةُ...

عَلَى الْجَانِبِ الأَخَرِ - خَلْفَ ظَهْرِ الرَّاعِي - كَانَتْ الأَغْنَامُ مُبْتَهِجَةً وَسَعِيدَةً بِهَذَا الْخَيْرِ الوَفِيرِ مِنَ العُشْبِ الأَخْضَرِ اليَانِعِ... وَهَذِهِ النَّسْمَةِ العَلِيلَةِ مِنَ الْهَوَاءَ الطَّلْقِ... وَهَذَا الْمَاءِ الصَّافِي الّذِي يَجْرِي رِقْرَاقًا بَيْنَ ضَفَّتَيْ النَّهْرِ الصَّغِيرِ... وَهَذِهِ الأَلْحَانِ الْجَمِيلَةِ الْمُنْبَعِثَةِ مِنْ أَنْوَاعِ الطُّيورِ الْمُخْتَلِفَةِ مِنْ بَلَابِلَ وَعَصَافِيرَ...

فَهَذَا الْخَرُوفُ يَنْعَمُ بِمَا لَذَّ وَطَابَ مِنَ الْحَشَائِشِ الْخَضْرَاءِ... وَهَذَا الْحَمْلُ يَجْرِى وَرَاءَ أُمِّهِ بَعْدَ أَنْ أَكَلَ بَعْضًا مِنَ العُشْبِ النّاضِرِ مُحَاوِلاً أَنْ يَلْتَقِطَ ثَدْيَهَا لِيُبِلَّ رِيقَهُ بَحِلِيبِهَا الأَبْيَضِ البَارِدِ... وَهَذَا الْجَدْيُ يَجْثُو عَلَى رُكْبَتَيْهِ

الصَّغِيرَتَيْنِ عَلَى ضَفَّةِ النَّهْرِ لِكَيْ يَصِلَ بِفَمِهِ الصَّغِيرِ لارْتِشَافِ الْمَاءَ بَعْدَ وَجْبَةٍ مِنَ العُشْبِ اللّذِيذِ...

وَهَذِهِ العَنْزَةُ تَقْفِزُ بِرِجْلَيْهَا الأَمَامِيَّتَيْنِ وَتَضْرِبُ أُخْتَهَا بِقَرْنَيْهَا الْمَعْكُوفَيْنِ الّتِي فَعَلَتْ مِثْلَهَا هِيَ الأُخْرَى فَرَسَمَا مُثَلَّثًا جَمِيلَ الشَّكْلِ...

وَهُنَاكَ فِي جَانِبٍ مِنْ جَوَانِبِ الْمَرْعَى الْخَصِيبِ، وَبِكُلِّ صَلَفٍ وَغُرُورٍ شَرَدَ هَذَا الْخَرُوفُ عَنِ القَطِيعِ... وَكَأَنَّهُ يَقُولُ:

أَنَا مَلِكُ هَذَا الْمَكَانِ وَلاَ يُمَاثِلُنِي أَيٌّ مِنْ أَعْضَاءِ هَذَا القَطِيعِ... فَأَنَا هُنَا وَحْدِي... كَيْفَ لِي أَنْ أَجْلِسَ أَوْ أَقِفَ مَعَ هَؤُلاءِ الرِّعَاعِ مِنَ القَوْمِ؟!!!

فَأَخَذَ نَفْسَهُ مُتَبَخْتِرًا يَمْشِي مَشْيَةً كُلُّهَا صَلَفٍ وَغُرُورٍ وَكِبْرٍ... فَلَمَّا ابْتَعَدَ هَذَا الْخَرُوفُ الْمَغْرُورُ عَنِ القَطِيعِ مَسَافَةً كَبِيرَةً... وَبَعْدَ أَنْ تَعِبَ مِنَ الْمَشْيِ أَرَادَ أَنْ يَجْلِسَ فَنَظَرَ فِي الْمَكَانِ وَقَالَ فِي نَفْسِهِ:

أَنَا أَجْلِسُ فِي هَذَا الْمَكَانِ الْحَقِيرِ؟؟؟ لاَ لَنْ أَجْلِسَ فِي مَكَانٍ مِثْلَ هَذَا...

فِي هَذِهِ الأَثْنَاءِ، كَانَ يَمُرُّ فِي النَّاحِيَةِ الأُخْرَى مِنَ النَّهْرِ الصَّغِيرِ جَمْعٌ مِنَ الكِلاَبِ الْجَائِعَةِ الّتِي مَرَّتْ عَلَيْهَا أَيَّامٌ دُونَ أَنْ يَدْخُلَ مِعْدَتِهَا إِلاَّ مَا يَسِدُّ رَمَقَهَمْ مِنَ الْجُوعِ... وَيَحْفَظُ حَيَاتَهُمْ مِنَ الْمَوْتِ...

فَلَمَّا رَأَتِ الكِلاَبُ الْخَرُوفَ فِي الْجِهَةِ الأُخْرَى مِنَ الْجَدْوَلِ نَظَرَ بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ وَكَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ لِبَعْضِهُمُ البَعْضُ:

جَاءَ الفَرَجُ وَسَتُمْتَلأُ مِعْدَتُنَا أَخِيرًا بِلَحْم طَرِيٍّ شَهِيٍّ.

وَلَمَّا رَأَى الْخَرُوفُ هَــؤُلاءِ الكِــلاَبَ الْجَائِعَةَ وَمَا يَدُورُ فِي أَعْيُنِهِمْ مِنْ رَيْبٍ... أَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً وَسَاوَرَتْهُ الشُّكُوكُ وَالظُّنُونُ...

أَطْلَقَ الْخَرُوفُ الْمَغْرُورُ صَيْحَاتٍ عَالِيةً... مَاااااااااءْ... مَاااااااااءْ... مَاااااااءْ... مُسْتَنْجِدًا بِالرَّاعِي

لِكَيْ يُخَلِّصَهُ مِنْ هَذَا الفَخِّ الَّذِي أَوْقَعَ نَفْسَهُ فِيهِ بِتَكَبُّرِهِ وَغُرُورِهِ...

انْطَلَقَتِ الكِلَابُ الْجَائِعَةُ بِسُرْعَةٍ لِتَصِلَ إِلَى الْخَرُوفِ الوَحِيدِ مِنْ خِلَالِ قَنْطَرَةٍ تَعْبُرُ بِهِمْ إِلَى نَاحِيتِهِ... وَلأَنَّ القَنْطَرَةَ كَانَتْ بَعِيدَةً نَوْعًا مَا... فَقَدْ كَانَ الوَقْتُ طَوِيلاً لِيَصِلُوا إِلَى الْخَرُوفِ الْمَغْرُورِ...

أَفَاقَ الرَّاعِي عَلَى صَيْحَاتِ الْخَرُوفِ الْخَائِفَةِ وَصَوْتِهِ البَعِيدِ... فَالْتَفَتَ نَحْوَ مَصْدَرِ الصَّوْتِ؛ فَوَجَدَ الْخَرُوفَ يَقِفُ مَزْعُورًا خَائِفًا... وَوَجَدَ الكِلَابَ تنْطَلِقُ نَحْوَهُ كَالسِّهَامِ الْمُصَوَّبَةِ لِكَيْ يَفْتَرِسُوهُ... وَقَدْ كَشَّرَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ عَنْ أَنْيَابِهِ...

هَرَعَ الرَّاعِي يُسَابِقُ الرِّيحَ نَحْوَ الْخَرُوفِ الْمَغْرُورِ الْمَزْعُورِ كَيْ يُنْقِذَهُ مِنْ الْمَوتِ الْمُحَقَّقِ... وَفِي يَدِهِ عَصَاهُ الغَلِيظَةُ الطَّوِيلَةُ الّتِي يَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِهِ...

وَصَلَ الرَّاعِي فِي الوَقْتِ الْمُنَاسِبِ إِلَى الْخَرُوفِ الْمَغْرُورِ

وَوَقَفَ رَافِعًا عَصَاهُ الغَلِيظَةَ فِي اسْتِعْدَادٍ لأَنْ يُكَسِّرَ عِظَامَ أَيٍّ مِنَ الكِلاَبِ الْجَائِعَةِ إِنْ رَاوَدَتْهُ نَفْسُهُ أَنْ يَقْتَرِبَ مِنَ الْخَرُوفِ...

تَفَرَّقَتِ الكِلاَبُ الْجَائِعَةُ فِي نَوَاحٍ شَتَّى عِنْدَمَا رَأَتِ الرَّاعِي وَعَصَاهُ الغَلِيظَةَ الطَّوِيلَةَ... وَسَاعِدَاهُ الْمَفْتُولَيْنِ... وَعَيْنَيْهِ اللّتَيْنَ تَضْطَرِبُ بِالشَّرَرْ...

الْتَفَتَ الرَّاعِي إِلَى الْخَرُوفِ وَلِسَانُ حَالِهِ يَقُولُ:

لَوْلاَ تَكَبُّرُكَ وَغُرُورُكَ لَمَا وَصَلْتَ إِلَى هَذِهِ الْحَالِ...

أَيُّهَا الْمَغْرُورُ لِمَا تَتَكَبَّرُ فِي نَفْسِكِ فَالكُلُّ سَواءٌ...

أَنْتَ بِمُفْرَدِكَ ضَعِيفٌ هَزِيلٌ تُصْبِحُ مَطْمَعًا لِكُلِّ مُتَجَبِّرٍ... أَمَّا فِي جِوَارِ إِخْوانِكَ؛ لاَ يَقْدِرُ أَحَدٌ أَنْ يُهَاجِمَكَ أَوْ يَطْمَعَ فِيكَ مَهْمَا بلَغَ مِنَ القُوَّةِ وَالبَأْسِ...

فَالْخَيْرُ كُلُّ الْخَيْرِ فِي أَنْ نَجْتَمِعَ كُلُّنَا مَعًا، وَنَضَعَ أَيْدِينَا فِي أَيْدِ بَعْضٍ لِنَصْنَعَ سَدًّا قَوِيًّا فِي مُوَاجَهَةِ أَعْدَائِنَا...

البَابُ الخَلْفِيُّ

كَانَ الْحَاجُّ صَالِحُ يَعِيشُ فِي قَرْيَتِهِ الصَّغِيرَةِ وَالْحَبِيبَةِ إِلَى قَلْبِهِ عِيشَةً هَنِيَّةً وَسَعِيدَةً، بَاسِطًا جَنَاحَيْهِ عَلَى أُسْرَتِهِ الكَبِيرَةِ الْمُكَوَّنَةِ مِنْ عِدَّةِ أَبْنَاءَ كُلُّهُمْ مِنَ الذُّكُورِ...

وَكَانَ ابْنُهُ مَاجِدُ مُنْذُ نُعُومَةِ أَظَافِرِهِ هُوَ سَاعِدُ وَالِدِهِ الأَيْمَنُ الّذِي يَتَّكِئُ عَلَيْهِ إِذَا كَلَّ أَوْ أَصَابَهُ التَّعَبُ الشَّدِيدُ... وَكَانَ نِعْمَ العَوْنِ لَهُ فِي إِيجَادِ قُوتِ الأُسْرَةِ الكَثِيرَةُ العَدَدِ...

لَمْ يُفَكِّرَ الْحَاجُّ صَالِحُ أَوْ يَخْطُرَ بِبَالِهِ أَنْ يُلْحِقَ ابْنَهَ مَاجِدَ بِالْمَدْرَسَةِ الْمَوْجُودَةِ فِي هَذِهِ القَرْيَةِ النَّائِيَةِ... وَذَلِكَ لانْشِغَالِهِمَا بِهُمُومِ البَحْثِ عَنْ لُقْمَةِ العَيْشِ وَتَوْفِيرِهَا، لِتَسُدَّ رَمَقَ الأُسْرَةِ الكَبِيرَةِ...

كَبُرَ مَاجِدُ وَتَرَعْرَعَ وَاشْتَدَّ عُودُهُ وَأَصْبَحَ الآنَ شَابًّا يَافِعًا يُقَارِبُ الْخَامِسَةَ عَشْرَ مِنْ عُمْرِهِ.

وَذَاتَ يَوْمٍ وَهُوَ فِي طَرِيقِهِ إِلَى عَمَلِهِ فِي حَقْلِ أَبِيهِ قَابَلَهُ وَلَدٌ صَغِيرٌ فِي طَرِيقِهِ إِلَى شَيْخِهِ فِي الكُتَّابِ يَحْمِلُ قِطْعَةً خَشَبِيَّةً (اللَّوْحَ) مَخْطُوطٌ عَلَيْهَا بَعْضَ حُرُوفِ الْهِجَاءِ... وَبَعْضَ الكَلِمَاتِ البَسِيطَةِ وَالَّتِي تَتَكَوَّنُ مِنْ حَرْفَيْنِ...

أَمْسَكَ مَاجِدُ بِاللَّوْحِ وَأَخَذَ يَنْظُرُ إِلَى مَا هُوَ مَكْتُوبٌ عَلَيْهِ وَيَتفَحَّصَهُ... لَا يَفْهَمُ وَلَا يَفْقَهُ مِنْهُ شَيْئًا... قَلَّبَ اللَّوْحَ مَرَّةً وَمَرَّةً... وَهُوَ لَا يَدْرِي مَا خُطَّ فَوْقَهَ... لَا يَرَى إِلَّا خُطُوطَ حِبْرٍ أَسْودَ لَا يَعْرِفُ لَهَا تَفْسِيرًا.

طَلَبَ مَاجِدُ مِنَ الغُلَامِ أَنْ يَقْرَأَ مَا هُوَ مَكْتُوبٌ عَلَى اللَّوْحِ... انْطَلَقَ الغُلَامُ كَالسَّهْمِ قَارِئًا مَا فِي لَوْحِهِ مِنَ الْحُرُوفِ وَالكَلِمَاتِ دُونَ تَوَقُّفٍ أَوْ إِبْطَاءٍ.

تَحَسَّرَ مَاجِدُ عَلَى حَالِهِ وَأَضْمَرَ فِي نَفْسِهِ شَيْئًا مَا!!!

لَمْ يُكْمِلْ مَاجِدُ سَعْيَهُ إِلَى الْحَقْلِ وَلَكِنَّهُ يَمَّمَ وَجْهَـــــهَ

شَطْرَ كُتَّابِ سَيِّدِنَا القَرِيبِ مِنْ مَنْزِلِهِمْ...

كَانَ الوَالِدُ يَنْتَظِرُ مَاجِدَ فِي الْحَقْلِ لِيُكْمِلاَ عَمَلَهُمَا مِنْ حَرْثٍ وَغَرْسٍ... تَأَخَّرَ مَاجِدُ عَنِ الْمَجِيءِ مِمَّا أَثَارَ انْتِبَاهَ وَالِدِهِ وَقَلَقَهُ...

لَمَّا عَادَ الوَالِدُ إِلَى الْمَنْزِلِ فِي وَقْتِ الظَّهِيرَةِ لِيَأْخُذَ قِسْطًا مِنَ الرَّاحَةِ وَيَتَنَاوَلَ غَدَاءَهُ... سَأَلَ عَنْ مَاجِدَ وَعَنْ سَبَبِ عَدَمِ مَجِيئِهِ، فَلَمْ يَرُدَّ مَنْ فِي الْمَنْزِلِ لَهُ جَوابًا يَشْفِي قَلَقَهُ وَلَهْفَتَهُ...

عَادَ مَاجِدُ مِنْ كُتَّابِ سَيِّدِنَا لِيُخْبِرَ وَالِدَهُ عَمَّا قَرَّرَهُ.

أُرِيدُ أَنْ أَتَعَلَّمَ يَا أَبِي العَزِيزِ... قَالَهَا مَاجِدُ بِصَوْتٍ خَافِتٍ خَوْفًا مِنْ رَدَّةِ فِعْلِ أَبِيهِ...

رَحَّبَ الوَالِدُ بِالْفِكْرَةِ عَلَى أَنْ يُنَظِّمَا الأَوْقَاتَ بَيْنَهُمَا.

اتَّفَقَا الأَبُ وَالابْنُ عَلَى أَنْ يَذْهَبَ مَاجِدُ فِي الفَتْرَةِ الصَّبَاحِيَّةِ لِلْكُتَّابِ لِيَتَعَلَّمَ... وَفِي الفَتْرَةِ الْمَسَائِيَّةِ لِلْحَقْلِ لِمُسَاعَدَةِ وَالِدِهِ...

وَفِي السَّنَةِ التَّالِيَةِ الْتَحقَ مَاجِدُ بِالسَّنَةِ النِّهَائِيَّةِ مِنَ التَّعْلِيمِ الأَسَاسِيِّ وَكَانَ الْتِحَاقُهُ فِي قِسْمِ الْمَنَازِلِ وَذَلِكَ لِكِبَرِ سِنِّهِ... وَبَعْدَ أَنِ اجْتَازَ كُلَّ الاخْتِبَارَاتِ وَنَجَحَ فِيهَا نَجَاحًا بَاهِرًا، الْتَحَقَ مَاجِدُ بِالْمَدْرَسَةِ الإِعْدَادِيَّةِ بِالْمَرْكَزِ فَانْكَبَّ عَلَى دُرُوسِهِ فِي شَغَفٍ شَدِيدٍ، فَلَمْ يَكُنْ يَتْرُكَ دَرْسًا مِنَ الدُّرُوسِ إِلاَّ وَكَانَ يَفْهَمُهُ فَهْمًا جَيِّدًا، وَيَحْفَظُهُ حِفْظًا شَدِيدًا... وَفِي نَفْسِ الوَقْتِ لَمْ يُهْمِلْ مُسَاعَدَةِ وَالِدِهِ فِي العَمَلِ بِالْحَقْلِ لِتَوْفِيرِ العَيْشِ اللاَّزِمِ لِلأُسْرَةِ الكَرِيـــمَةِ...

بَعْدَ ثَلاثِ سَنَواتٍ مِنْ بَذْلِ الْجَهْدِ وَالعَرَقِ فِي تَحْصِيلِ الدُّرُوسِ حَازَ مَاجِدُ عَلَى الشَّهَادَةِ الإِعْدَادِيَّةِ وَكَانَ حَاصِلاً عَلَى الْمَرْكَزِ الأَوَّلِ مِمَّا جَعَلَ أَبَاهُ سَعِيدًا وَفَخُورًا بِهِ...

مَرَّتْ ثَلاثُ سَنَواتٍ أُخْرَى وَحَصَلَ مَاجِدُ عَلَى شَهَادَةِ البَكَالُورْيَا (الثَّانَوِيَّةِ العَامَّةِ) بِمَجْمُوعٍ يَجْعَلُهُ مُؤَهَّلاً لِلدُّخُولِ لأَحْسَنِ الكُلِّيَاتِ وَأَعْلاهَا...

اخْتَـــارَ مَاجِدُ كُلِّيَةَ اللُّغَةِ العَرَبِيَّةِ وَالْتَحَقَ بِهَا وَاجْتَـــازَ

سَنَواتِهَا الأَرْبَعَ فِي تَفَوّقٍ، وَحَصَلَ عَلَى الشَّهَادَةِ العُلْيَا لَهَا بِأَعْلَى مُسْتَوى مِمَّا جَعَلَهُ مُؤَهَّلاً لِلدِّرَاسَاتِ العُلْيَا فِيهَا...

تَقَدَّمَ مَاجِدُ لِنَيْلِ دَرَجَةِ الْمَاجِسْتِيرِ فَقَدَّمَ بَحْثًا لَمْ يُرَ أَفْضَلَ مِنْهُ لُغَةً وَحُسْنًا وَتَنْسِيقًا، فَنَالَهَا بِأَرْفَعِ وِسَامٍ (إِمْتِيَازٍ) مَعَ مَرْتَبَةِ الشَّرَفِ الأُولَى...

ثُمَّ تَقَدَّمَ لِنَيْلِ دَرَجَةِ الدُّكْتُورَاةِ بِبَحْثٍ لَمْ يُرَ لَهُ نَظِيرٌ، فِي فَرْعٍ مِنْ فُرُوعِ لُغَتِنَا العَرَبِيَّةِ الْحَبِيبَةِ لَنَا جَمِيعًا، فَنَالَ أَرْفَعَ وِسَامٍ وَأَصْبَحَ مُدَرِّسًا فِي الْجَامِعَةِ، يُدَرِّسُ وَيُحَاضِرُ لِطَلَبَتِهِ بِكُلِّ جِدٍّ وَإِخْلَاصٍ...

وَهَكَذَا أَصْبَحَ مَاجِدُ مِنْ أَشْهَرِ أَسَاتِذَةِ وَمُحَاضِرِي اللُّغَةِ العَرَبِيَّة مِمَّا جَعَلَ أَشْهَرُ جَامِعَاتِ وَطَنِنا العَرَبِيِّ تَتَنَافَسُ عَلَيْهِ لِكَيْ يَذْهَبُ لِلإِلْقَاءِ الْمُحَاضَرَاتِ عَلَى طُلَّابِهَا...

فَبِالرَّغْمِ مِنْ دُخُولِ مَاجِدُ مِنَ البَابِ الْخَلْفِيِّ لِلْعِلْمِ إِلَّا أَنَّهُ أَصْبَحَ يَحُوزَ أَعْلَى الشَّهَادَاتِ وَالتَّقْدِيرَاتِ فِيهِ...

فَلَيسَ الْمهمُّ منْ أيِّ بَابٍ تَدخلُ وَلكنَّ الْمهمَّ أنْ تَكونَ الأوَّلُ.

الجَدَّةُ وَحَفِيدُهَا

كَانَ هَذَا الرَّجُلُ الفَارِعُ الطُّولِ وَالشَّدِيدُ الصَّرْعَةِ وَالقَوِيُّ البِنْيَةِ يَتَنَقَّلُ مَعَ قَبِيلَتِهِ مِنْ مَكَانٍ إِلَى مكَانٍ يَبْحَثُونَ فِيهِ عَنْ مَواضِعَ الكَلأِ لِيَرْعُوا فِيهِ أَغْنَامَهُمْ وَمَواشِيَهِمْ...

وَكَانَ لِهَذَا الرَّجُلِ وَلَدٌ وَحِيدٌ فِي الْخَامَسَةِ مِنْ عُمُرِهِ... وَكَذَلِكَ كَانَ لَهُ أُمٌّ عَجُوزٌ كَبِيرَةٌ فِي السِّنِّ، وَطَاعِنَةٌ فِي العُمُرِ، وَكَانَ مَعَهُ زَوْجَتُهُ الّتِي يُحِبُّهَا حُبًّا كَثِيرًا.

عَاشَتْ هَذِهِ الأُسْرَةُ الصَّغِيرَةُ مَعَ قَبِيلَتِهَا عِيشَةً لاَ بَأْسَ بِهَا، تَرْتَعُ مَعَهُمْ عِنْدَمَا تَجُودُ عَلَيْهِمْ السَّمَاءُ بِمَعِينِهَا وَتَتَقَشَّفُ وَتَعِيشُ فِي شَظَفٍ مِنَ العَيْشِ عِنْدَمَا تَأْتِي عَلَيْهِمْ الأَوْقَاتُ العِجَافُ...

وَلِهَذَا كَانَتْ هَذِهِ القَبِيلَةُ لَيْسَ لَهَا مَكَانٌ مُحَدّدٌ، وَلاَ بُيُوتٌ مَعْلُومَةٌ... فَأَيْنَمَا كَانَتِ الْخُضْرَةُ وَالْمَاءُ كَانُوا هُمْ مَعَهُمَا...

كَانَتْ وَالِدَةُ هَذَا الرَّجُلِ لِكَبَرِ سِنِّهَا تُهْزِي لَهُ بِكَلِمَاتٍ تُضَايِقُهُ... وَكَانَ عَقْلُهَا يَغِيبُ عَنْهَا لِبَعْضِ فَتَرَاتٍ مِنَ الوَقْتِ فَتَقُولُ كَلاَمًا غَيْرَ مُرَتَّبٍ وَغَيرَ مَعْلُومٍ... فتَطَاولُ بِالشَّتَائِمِ وَالسَّبِّ عَلى كُلِّ مَنْ تَرَاهُ فِي فَتَرَاتٍ كَثِيرَةٍ... وَكَانَ يَشْتَدَّ ضِيقُ ابْنِهَا أَكْثَرُ إِذَا سَمِعَ نَفَرٌ مِنْ قَبِيلَتِهِ كَلِمَاتِ أُمِّهِ الّتِي تُهْزِي بِهَا، وَتَصَرُّفَاتِهَا الغَيْرِ مَسْؤُلةٍ لِكَبَرِ سِنِّهَا...

وَفِي يَوْمٍ مِنْ أَيَّامِ الصَّيْفِ الشّدِيدَةُ الْحَرَارَةِ، نَزَلَتِ القَافِلَةُ مَكَانًا فِي الصَّحْرَاءِ الّتِي لاَ تَحْتَــوي إِلاَّ عَلَى رِمَالٍ

فقَطْ... فَلاَ أَشْجَارَ وَلاَ أَعْشَابَ نَظرًا لِعَدَمِ وُجُودِ الْمَاءِ فِي هَذِهِ الْمِنْطَقَةِ مِنَ الصَّحْرَاءِ القَافِلَةِ... وَنَصَبُوا خِيَامَهُمْ وَأَراحُوا مَوَاشِيَهُمْ وَأَغْنَامَهُمْ الْمُتعَبَةَ، وَمَكَثُوا فِيهَا وَقْتًا لِيَسْتَرِيحُوا...

اشْتَدَّ هَزَيانُ أُمِّ الرَّجُلِ لَهُ، وَسَمِعَهُ مَجْمُوعَةٌ مِنْ أَفْرَادِ القَبِيلَةِ فَعَايَرَهُ البَعْضُ بِذَلِكَ... فَكّرَ هَذَا الرَّجُلُ فِي فِكْرَةٍ شَيْطَانِيَّةٍ طَرَأَتْ عَلَى ذِهْنِهِ...

قَالَ الرَّجُلُ لِزَوْجَتِهِ إِذَا نَحْنَ هَمَمْنَا فِي الصَّبَاحِ البَاكِرِ بِالرَّحِيلِ... وَتَحَرَّكَتِ القَبِيلَةُ جَمِيعُهَا... اتْرُكِي أُمِّي فِي هَذَا الْمَكَانِ... وَاتْرُكِي مَعَهَا مَاءً وَزَادًا يَكْفِيهَا أَيَّامًا مَعْدُودَةً... فَمِنَ الْمُمْكِنِ أَنْ يَعْثُرَ عَلَيْهَا أَحَدٌ وَيأْخُذَهَا وَيُرِيحَنَا مِنْهَا وَمِنْ هَزَيَانِهَا وَتَصَرُّفَاتِهَا الّتِي لَمْ أَعُدْ أَتَحَمّلُهَا...

كَانَتْ زَوْجَةُ هَذَا الرَّجُلِ إِمْرَأَةً عَاقِلَةً... نَفَذّتْ كُلَّ كَلاَمِ زَوْجِهَا كَمَا قَالَ لَهَا... وَلَكِنَّهَا تَرَكْتْ وَلَدَهُمَا

الوَحِيدَ مَعَ جَدَّتِهِ لِكَيْ تُعْطِيَ زَوْجَهَا دَرْسًا لاَ يَنْسَاهُ طِيلَةَ حَيَاتِهِ...

قَامَتِ القَافِلَةُ جَمِيعُهَا مُبَكِّرَةً وَتَحَرَّكَتْ لِلْمَسِيرِ... وَسَارَ مَعَهَا الرَّجُلُ بِزَوْجَتِهِ وَهُوَ لاَ يَدْرِي أَنَّ وَلَدَهُ مَتْرُوكٌ مَعَ أُمِّهِ... وَلَمَّا انْتَصَفَ النَّهَارُ... وَابْتَعَدُوا عَنْ مَكَانِ وَلَدِهِ وَوَالِدَتِهِ بِمَسافَةٍ كَبِيرَةٍ... سَأَلَ عَنْ ابْنِهِ لأَنَّهُ لَمْ يَرَهْ مُنْذُ فَارَقُوا الْمَكانَ فِي الصَّبَاحِ... فَأَخْبَرَتُهُ زَوْجَتُهُ أَنَّهَا تَرَكَتُهُ مَعَ جَدَّتِهِ... فَجُنَّ جُنُونُ الرَّجُلِ... وَاغْتَاظَ غَيْظًا شَدِيدًا... وَعَنَّفَ زَوْجَتَهُ تَعْنِيفًا كَبِيرًا...

فَقَالَتْ لَهُ زَوْجَتُهُ:

تَرَكْتُ ابْنَكَ الوَحِيدَ مَعَ أُمِّكَ فِي الصَّحْرَاءِ لِكَيْ لاَ يَكْبَرُ وَيَتْرُكَكَ فِي الصَّحْرَاءِ مِثْلَمَا فَعَلْتَ أَنْتَ بِأُمِّكَ...

رَجَعَ الرَّجُلُ إِلَى عَقْلِهِ، وَتَفَكَّرَ فِي كَلاَمِ زَوْجَتِهِ، وَعَرِفَ الْجِنَايَةَ الّتِي ارْتَكَبَهَا فِي حَقِّ وَالِدَتِهِ... فَرَجَعَ مُسْرِعًا لِكَيْ يَلْحَقَ أُمَّهُ وَابْنَهَ قَبْلَ أَنْ يَحْدُثَ لَهُمَا أَيُّ ضَرَرٍ...

لَمَّا رَجَعَ إِلَى مَكَانِهِمَا؛ وَجَدَ أُمَّهُ مُحْتَضِنَةً وَلَدَهُ وَتُدَافِعُ عَنْهُ ضِدَّ مَجْمُوعَةٍ مِنْ ذِئَابِ الصَّحرَاءِ الضَّارِيَةِ...

لَمْ تَمْلُكْ الْمَرَأَةُ العَجُوزُ الْهَزِيلَةُ أَيَّ شَيْءٍ لِتُدَافِعَ بِهِ عَنْ نَفْسِهَا وَعَنِ حَفِيدِهَا وَتَذُبَّ عَنْهَا وَعَنْهُ هَذِهِ الذِّئَابَ الضَّارِيَةَ غَيْرَ الرِّمَالِ... نَعَمْ بِالرِّمَالِ دَافَعَتْ هَذِهِ الْمَرْأَةُ الْمُسِنَّةُ عَنْ حَفِيدِهَا وَفَلْذَةِ كَبِدِهَا وَأَنْقَذَتْهُ مِنْ بَرَاثِنِ الذِّئَابِ الْمَسْعُورَةِ...

لَمْ يَتَطَرَّقْ إِلَى ذِهْنِ الْمَرْأَةِ أَنَّ وَلَدَهَا تَرَكَهُمَا فِي هَذِهِ الصَّحرَاءِ الشَّاسِعَةِ، وَهَذَا الْحَرِّ الشَدِيدِ، وَلَكِنَّهَا ظَنَّت أَنَّهُ نَسِيَهُمَا وَسَوفَ يَرْجِعُ لأَخْذِهِمَا...

رَأَى الرَّجُلُ مَنْظَرَ أُمِّهِ وَهِي مُحْتَضِنَةً صَغِيرَهُ وَمُتَكَوِّرَةً عليهِ أَمَامَ تِلْكَ الذِّئَابِ لتحْمِيَهُ، فَانْفَجَرَ بَاكِيًا وَأَسْرَعَ نَحْوَهَا كَالسَّهْمِ الْخَارِقِ يُقَبِّلُ قَدَمَيْهَا وَيَلُومُ نَفْسَهُ...

كَيْفَ فَعَلَ هَذَا بِأُمِّهِ ؟!!!

وكَيْفَ فَعَلَتْ أُمُّهُ مِنْ أَجْلِ وَلَدِهِ؟!!

الكِتَابَةُ عَلَى الصَّخْرِ

مَشَى الصَّدِيقَانِ سَوِيًّا كُلٌّ مِنْهُمَا يَمْسِكُ بِيَدِ صَاحِبِهِ... وَهَكَذَا كَانَا يَمْشِيانِ فِي أَيِّ وَقْتٍ وَأَيِّ مَكَانٍ...

فَقَدْ جَمَعهُمَا شَارِعٌ وَاحِدٌ... وَقَرَّبَ بَيْنَهُمَا الْحَظُّ فَجَعَلَ بَيْتَيْهِمَا مُتَجَاوِرَيْنِ...

كَانَا الصَّدِيقَانِ لاَ يَفْتَرِقَانِ إِلاَّ عِنْدَ نَوْمِهِمَا... فَقَدْ كَانَا مُتَقَارِبَيْنِ فِي العُمْرِ... يَفْصِلُ بَيْنَ مَوْلِدَيْهِمَا عِدَةُ أَيَّامٍ فَقَطْ... وكَانَا فِي مَدْرَسَةٍ وَاحِدَةٍ بَلْ زَادَ التَّقَارُبُ بَيْنَهُمَا فَكَانَا فِي نَفْسِ الفَصْلِ الدِّرَاسِيِّ... بَلْ كَانَا فِي مَقْعَدَيْنِ مُتَجَاوِرَيْنِ وَمُلْتَصِقَيْنِ بِبَعْضِهِمَا البَعْضِ...

يَذْهَبُ الصَّدِيقَانِ سَوِيًّا إِلَى الْمَدْرَسَةِ وَيَرْجِعَانِ سَوِيًّا إِلَى مَنْزِلَيْهِمَا...

وَفِي أَجَازَةِ نِصْفِ العَامِ الدِّرَاسِيِّ قَرَّرَتِ الْمَدْرَسَةُ الَّتِي يَدْرُسَانِ فِيهَا القِيامَ بِرِحْلَةٍ إِلَى جَنُوبِ مِصْرَ؛ حَيْثُ يَتَعَرَّفُ التَّلامِيذُ عَلَى حَضَارَةِ بَلَدِهِمْ القَدِيـــمَةِ الَّتِي اسْتَمَرَّتْ مُنْذُ آلَافِ السِّنِينَ...

سَافَرَا الصَّدِيقَانِ مَعَ تَلَامِيذِ الْمَدْرَسَةِ وَمُدَرِّسِيهَا إِلَى جَنُوبِ البِلَادِ، لِيُشَاهِدُوا عَبَقَ التَّارِيخِ، ويَتَمَتَّعُوا بِمَا صَنَعَ الأَجْدَادُ مِنْ حَضَارَةٍ أَذْهَلَتْ كُلَّ العَالَمِ مِنْ حَوْلِهِمْ، فَأَرْسَلتِ الدُّولُ سَائِحِيهَا لِيَتَمَتَّعُوا بِهَذِهِ الْمَنَاظِرِ الْخَلَّابَةِ...

وَفِي يَوْمٍ مِنَ الأَيَّامِ خَرَجَ الصَّدِيقَانِ مَعَ بَقِيَّةِ الزُّمَلَاءِ لِيَزُورَا آثَارَ مِصْرَ الْخَالِدَةَ فِي مَدِينَةِ الأُقْصِرِ... انْعَطَفَا الصَّدِيقَانِ فَأَصْبَحَا بِمُفْرَدَيْهِمَا بَعِيدًا عَنْ جُمُوعِ أَفْرَادِ رِحْلَةِ الْمَدْرَسَةِ...

أَخَذَا الصَّدِيقَانِ يَتَبَادَلان أَطْرَافَ الْحَدِيثِ وَيَتَجَادَلانِ

فِي مَسَائِلَ شَتّى، حَتّى اخْتَلفَا مَعَ بَعْضِهِمَا فِي رَأْيٍ مِنَ الآرَاءِ...

انْدَفَعَ أَحَدُ الصَّدِيقَينِ وَكانَ حَادًّا فِي الْمُنَاقَشةِ وَالْجِدَالِ إِلَى صَدِيقِهِ الآخَرَ وَضَرَبَهُ بِشِدَّةٍ عَلَى وَجْهِهِ ضَرْبَةً قَوِيَّةً...

لَمْ يَرُدَّ عَلَيْهِ صَدِيقُهُ وَالْتَزَمَ السُّكوتَ وَالصَّمْتَ...

ثُمَّ جَلَسَ الصَّدِيقُ الْمَضْرُوبُ عَلَى الرِّمَالِ وَكَتَبَ:

اليَوَمَ ضَرَبَنِي أَعَزُّ أَصْدِقَائِي عَلَى وَجْهِي...

لَمَّا رَأى الصَّدِيقُ أَنَّهُ تَعَدَّى عَلَى صَدِيقِهِ وَرَفِيقِ دَرْبِهِ وَأَحَسَّ بِخَطَئِهِ الشَّدِيدِ، اعْتَذَرَ لِصَدِيقِهِ عَمَّا بَدَرَ مِنْهُ، وَتَأَسَّفَ لَهُ كُلَّ الأَسَفِ، فَقَبِلَ صَدِيقُهُ الآخَرُ اعْتِذَارَهَ، ثُمَّ سَارَا الصَّدِيقَانِ كَمَا كَانَا متُعَوّدَيْنِ مُمْسِكَيْنِ بَأَيْدِيهِمَا مَعًا...

وصَلَ الصَّدِيقَانِ عَلَى شَاطِئِ النِّيلِ العَظِيم، وَشَاهَدَا مِيَاهَهُ العَذْبَةَ الصَّافِيَةَ تَعْكِسُ صُورَ الآثَارِ الْخَالِدَةِ عَلَى صَفَحَاتِهَا الْجَمِيلَةِ، فَأَغْرَاهُمَا بُرُودَةُ مِيَاهِهِ وجَمَالُ مَنْظَرِهَا الرَّائِعِ الّذِي يَأخذُ بِالأَلْبَــابِ، فَقَــرَّرَا أَنْ يَغْتَسِلاَ فِي مَاءِهِ

العَذْبِ الصَّافِي لِيَتَبَرَّدَا مِنْ شِدَّةِ الْحَرِّ فِي وَقْتِ الظَّهِيرَةِ...

نَزَلَ الصَّدِيقَانِ إِلَى الْمِيَاهِ لِيَسْتَحِمَّا... ومِنْ عُذُوبَةِ الْمِيَاهِ وَجَمَالِهَا غَاصَ الصَّدِيقُ - الّذِي كَانَ قَدْ ضَرَبَهُ صَدِيقُهُ الآخَرُ - فِي الْمِيَاهِ وَدَخَلَ فِي جَوْفِ النَّهْرِ حَتّى أَصْبَحَ قَرِيبًا مِنْ مُنْتَصَفِهِ، وَفِي أَثْنَاءِ ذَلِكَ أَصَابَهُ التَّعَبُ وَالإِرْهَاقُ الشَّدِيدُ... فَلَمْ يَقْدِرْ عَلَى السِّبَاحَةِ وَالعَوْمِ فِي مِيَاهِ نَهْرِ النِّيلِ الْخَالِدِ، وَكَادَ أَنْ يَغْرَقَ، لَوْلاَ أَنَّهُ أَسْرَعَ فَنَادَى عَلَى صَدِيقِهِ بِصَوْتٍ عَالٍ...

لَمَّا سَمِعَ الصَّدِيقُ الصَّوْتَ وَجَدَ صَدِيقَهُ يُشْرِفُ عَلَى الغَرَقِ... فَأَسْرَعَ نَحْوَهُ وَبِكُلِّ عَزْمٍ جَذَبَهُ بِشِدَّةٍ حَتّى أَخْرَجَهُ إِلَى الشَّاطِئِ... فأَنْقَذَهُ مِن الْمَوْتَ الْمُحَقَّقِ...

جَلَسَ الصَّدِيقُ الّذِي كَادَ أَنْ يَغْرِقَ عَلَى صَخْرَةٍ فِي جَانِبِ النَّهْرِ العَظِيمِ وَنَحَتَ عَلَيْهَا:

اليَوْمَ أَنْقَذَ حَيَاتِي أَعَزُّ أَصْدِقَائِي...

تَعَجَّبَ صَدِيقُهُ وَسَأَلَهُ:

عِنْدَمَا ضَرَبْتُكَ كَتَبْتَ عَلَى الرِّمَالِ؟!!
وَعِنْدَمَا أَنْقَذْتُ حَيَاتِكَ نَحَتَّ عَلَى الصَّخْرِ؟!!
فَأَجَابَ عَلَيْهِ صَدِيقُهُ :
لأَنَّهُ عِنْدَمَا يُؤْذِنَا أَحَدٌ عَلَيْنَا أنْ نَكْتُبَ مَا فَعَلَهُ عَلَى الرِّمَالِ حَيْثُ تَأْتِي عَلَيْهَا رِيَاحُ التَّسَامُحِ فَيُمْكِنُ لَهَا أَنْ تَمْحِيَهَا...
وَلَكِنْ عِنْدَمَا يَصْنَعُ أَحَدٌ مَعَنَا مَعْرُوفًا فعَلَيْنَا أنْ نَنْحِتَ مَا فَعَل مَعَنَا عَلَى الصَّخْرِ...
حَيْثُ لاَ يُوجَدُ أَيُّ نَوْعٍ مِنَ الرِّيَاحِ يُمْكِنُهَا أَنْ تَمْحِيهَا...
تَعَلَّمُوا أَنْ تَكْتُبُوا آلاَمَكُمْ عَلَى الرِّمَالِ ... لَعَلَّ رَيِاحٌ تَأتِي عَلَيْهَا وَتَمْحِيهَا...
وَأَنْ تَنْحِتُوا الْمَعْرُوفَ عَلَى الصّخْرِ... لِكَيْ لاَ يَقْدِرُ أَيُّ نَوْعٍ مِنَ الرِّيَاحِ عَلَى أَنْ يَمْحِيَهَا...

الحَاكِمُ وَالصَّخْرَةُ

فِي قَدِيمِ الزَّمَانِ وَسَالِفِ العَصْرِ وَالآوَانِ ... وَفِي مَمْلَكَةِ الصِّينِ العَظِيمَةِ أَرَادَ أَحَدُ مُلُوكِهَا أَنْ يَخْتَبِرَ نَفَرًا مِنْ شَعْبِهِ... فَفَكَّرَ فِي حِيلَةٍ لِيَعْرِفَ مَدَى مَا وَصَلَ النَّاسُ فِي مَمْلَكَتِهِ إِلَى الاهْتِمَامِ بِشُئُونِ أَنْفُسِهِمْ وَإِيـــجَابِيَّتِهِمْ فِي حَلِّ مَا يَطْرَأُ عَلَيْهِمْ مِنْ مَشَاكِلَ ...

وَضَعَ هَذَا الْمَلِكُ الْحَكِيمُ صَخْرَةً كَبِيرَةً جِدًّا فِي الطَّرِيقِ الرَئِيسِيِّ لِبَلْدَتِهِ بِحَيْثُ كَانَتْ هَذِه الصَّخْرَةُ العَظِيمَةُ تَسُدُّ مُعْظَمَ الطَّرِيقِ ...

أَمَرَ هَذَا الْمَلِكُ أَحَدَ الْحُرَّاسِ أَنْ يَخْتَفِيَ وَرَاءَ شَجَرَةٍ كَبِيرَةٍ قَرِيبَةٍ مِنَ الصَّخْرَةِ وَيُرَاقِبُ أَفْعَالَ النَّاسِ تِجَاهَ هَذِهِ الصَّخْرَةِ وَيُسَجِّلُ بِدِقَّةٍ كُلَّ مَا يَقُومُونَ بِهِ ...

فِي اليَوْمِ الأَوَّلِ مَرَّ تَاجِرٌ مِنَ التُّجّارِ الْمَعْرُوفِينَ فِي البَلْدَةِ فَوَجَدَ الصَّخْرَةَ الكَبِيرَةَ فِي الطَّرِيقِ الرَّئِيسِيِّ لِلْبَلْدَةِ وَوَجَدَهَا تُعِيقُ مُرُورَ النَّاسِ فَدَارَ حَوْلَهَا ثُمَّ أَخَذَ يَسُبُّ وَيَشْتِمُ مَنْ وَضَعَهَا وَهُوَ لاَ يَعْلَمُ بِأَنَّ مَنْ وَضَعَهَا هُوَ حَاكِمُ الْبَلْدَةِ نَفْسُهُ... وَيَتَوعَّدُ مَنْ وَضَعَهَا بِالوَيْلِ وَالثُّبُورِ وَعَظَائِمِ الأُمُورِ... وَأَنَّهُ سَيَرْفَعُ الأَمْرَ لِلْمَسْئُولِينَ حَتّى يُوصِلَهُ لِلْمَلِكِ نَفْسِهِ لِكَيْ يَتَّخِذُوا مَوْقِفًا حَازِمًا مِمَّنْ فَعَلَ هَذِهِ الفِعْلَةِ الشَّنْعَاءِ ...

وَفِي يَوْمٍ آخَرَ مَرَّ أَحَدُ العُمَّالِ ... وكَانَ عَامِلٌ مِنْ عُمَّالِ البِنَاءِ ... نظَرَ لِلْصَّرْخَةِ أَيْضًا وَدَارَ حَوْلَهَا ... ثُمَّ قَامَ بِالسَّبِّ وَالشَّتْمِ أَيْضًا كَمَا فَعَلَ التَّاجِرُ بِالأَمْسِ وَلَكِنْ كَانَتْ لَهْجَتُهُ أَقَلَّ حِدَّةٍ مِنْهُ وَصَوْتُهُ أَقَلُّ انْخِفَاضًا ... لأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ

مِنَ الْمَعْرُوفِينَ ... فَهُوَ عَامِلٌ بَسِيطٌ لَيْسَ لَهُ كَلِمَةٌ فِي الْمُجْتَمَعِ ... وَلَيْسَ بِيَدِهِ أَيُّ أَمْرٍ يَفْعَلُهُ ...

وَفِي يَوْم بَعْدَهُ مَرَّ ثَلاَثَةُ شُبَّانٍ فَدَارُوا حَوْلَ الصَّخْرَةِ وَأَخَذُوا يَنْتَقِدُونَ وَضْعَ البِلاَدِ وَتَسَيُّبِ الْمَسْؤُلِينَ وَإِهْمَالِهِمْ وَعَدَم اهْتِمَامِهِمْ بِمَصَالِحِ النَّاسِ وَعَدِمِ رِعَايَتِهِمْ لَهَا... وَكَيْفَ يَتْرُكُونَ هَذِهِ الأُمُورَ الّتِي تُعَطِّلُ مَصَالِحَ النَّاسِ؟!! وَأَخَذُوا يَتَجَادَولُونَ وَتَرْتَفِعُ أَصْوَاتُهُمْ وَتُبَحُّ حَنَاجِرُهُمْ ...

وَفِي يَوْم آخَرَ مَرَّ رَجُلٌ فَلاَّحٌ بَسِيطٌ ... دَارَ الفَلاَّحُ حَوْلَ الصَّخْرَةِ الكَبِيرَةِ وَنَظَرَ إِلَيْهَا نَظَرَاتٍ فَاحِصَةٍ ... ثُمَّ شَمَّرَ عَنْ سَاعِدَيْهِ وَانْدَفَعَ نَحْوَهَا مِنْ جِهَةٍ مَا مُحَاوِلاً أَنْ يَمِيلَهَا عَنْ طَرِيقِ النَّاسِ ...

فَلَمْ يَقْدِرْ وَلَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يَفْعَلَ شَيْئًا بِمُفْرَدِهِ... فَلَمَّا رَآهُ بَعْضُ السَّائِرِينَ مِنَ النَّاسِ ذَهَبُوا إِلَيْهِ وَعَاوَنُوهُ فِي مُحَاوَلَةٍ لإِزَاحَةِ الصَّخْرَةِ الكَبِيرَةِ عَنِ الطَّرِيقِ...

وَبَعْدَ جُهْـــدٍ جَهِـــيدٍ مِنْ هَذَا الفَلاَّحِ وَمَنْ عَاوَنَهُ مِنَ

الأَخَـــوَانِ

فِي بَيْتٍ يسُودُهُ الْحُبُّ وَالأَدَبُ وَالاحْتِرَامُ وَالتَّعَامُلُ فِيمَا بَيْنَ سَاكِنِيهِ بِالْحُسْنَى وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ... كَانَا يَعِيشُ هَذَانِ الأَخَوَانِ ... بَيْنَ أَبٍ يَتّقِي اللهَ فِي كُلِّ أُمُورِ حَيَاتِهِ ... يَشْقَى طُوَالَ اليَوْمِ لِكَيْ يُوفِّرَ الْحَيَاةَ الكَرِيمَةَ لأُسْرَتِهِ الصَّغِيرَةِ الْمُكَوّنَةِ مِنْ ابْنَيْنِ وَزَوْجَةٍ ... وَأُمٍّ تَظَلُّ طُوَالَ يَوْمِهَا تَخْدِمُ فِي بَيْتِ زَوْجِهَا بِمَا يُرْضِي اللهَ ... وَتَبْذُلُ كُلَّ مَا فِي وُسْعِهَا فِي تَرْبِيَةِ ابْنَيْهَا البَارَّيْن بِهِمَا ...

نَشَأَ هَذَانِ الأَخَوَانِ فِي هَذَا البَيْتِ الّذِي تَرَبَّيَا فِيهِ عَلَى الْحُبِّ وَالوِئَام ... كُلَّمَا مَرَّ يَوْمٌ مِنَ الأَيَّامِ ازْدَادَ الْحُبُّ بَيْنَ الأَخَوَيْنِ زِيَادَةً كَبِيرَةً ...

مَرَّتْ سَنَوَاتٌ عَدِيدَةٌ عَلَى هَذِهِ الأُسْرَةِ الكَرِيمَةِ وَكَبُرَا الأَبوان فَقَامَا الابْنَانِ بِرِعَايَتِهِمَا رِعَايَةً حَسَنَةً وَطَيِّبَةً ...

تَزَوَّجَ الأَخُ الأَكْبَرُ وَكَوَّنَ أُسْرَةً صَغِيرَةً وَرَزَقَهُ الله بِالأَبْنَاءِ وَعَاشَ مَعَ أُسْرَتِهِ فِي بَيْتٍ بِجِوَارِ بَيْتِ أَخِيهِ الأَصْغَرِ فِي نَفْسِ الْمَزْرَعَةِ ... بَيْنَمَا لَمْ يَتَزَوَّجْ الأَخُ الأَصْغَرُ وَعَاشَ فِي بَيْتِهِ بِمُفْرَدِهِ أَعْزَبًا ...

وَبَعْدَ مَوْتِ الآبَوَانِ وَرِثَ الابْنَانِ الْمَزْرَعَةَ الكَبِيرَةِ مِنْ أَبَوَيْهِمَا... فَكَانَ يَتَقَاسَمَا كُلَّ مَا تُنْتِجُهُ الْمَزْرَعَةُ بِالتَّسَاوِي، يَأْخُذُ الأَخُ الأَكْبَرُ نِصْفَ الإِنْتَاجِ وَيضَعَهُ فِي مَخْزَنِهِ ... وَكذَلِكَ يَفْعَلُ الأَخُ الأَصْغَرُ ...

وَفِي يَوْمٍ مِنَ الأَيَّامِ قَالَ الأَخُ الأَصْغَرُ لِنَفْسِهِ:

أَنَا وَأَخِي نَقْتَسِمُ إِنْتَاجَ الْمَزْرَعَةِ بِالتَّسَاوِي ... وَهُوَ عِنْدَهُ أُسْرَةٌ وَأَوْلَادٌ ... وَأَنَا أَعِيشُ بِمُفْرَدِي ... وَلَا أَحْتَاجُ مِثْلَ مَا يَحْتَاجُ ... فَهُوَ يَحْتَاجَ أَكْثَرَ مِنِّي ... فَلَابُدَّ أَنْ أَفْعَلَ شَيْئًا لِمُسَاعَدَةِ أَخِي وَأُسْرَتِهِ ...

وَفِي لَيْلَةٍ مِنَ اللّيَالِي وعِنْدَ مَنْتَصَفِهَا حَمَلَ كِيسًا من القمح الْمَوْجُودِ عَنْدَهِ فِي الْمَخْزِنِ وَنَقَلَهُ إِلَى مَخْزَنِ أَخِيهِ دُونَ أَنْ يُشْعِرَ أَخَاهُ بِذَلِكَ ...

وَظَلَّ لَيَالِيَ عَدِيدَةً كُلُّ لَيْلَةٍ يَحْمِلُ كِيسًا مِنْ أَكْيَاسِ الغَلَّةِ مِنْ مَخْزَنِهِ وَيَضَعُهُ فِي مَخْزَنِ أَخِيهِ ....

وَفِي نَفْسِ الوَقْتِ قَالَ الأَخُ الأَكْبَرُ لِنَفْسِهِ:

أَنَا وَأَخِي نَتَقَاسَمُ إِنْتَاجَ الْمَزْرَعَةِ ... وَأَخِي لَيْسَ عِنْدَهُ أُسْرَةُ وَلَا أَوْلَادٌ ... لَابُدَّ أَنْ أُسَاعِدَهُ لِكَيْ يَتَزَوَّجَ وَيُكَوِّنَ أُسْرَةً مِثْلَ مَا فَعَلْتُ أَنَا ...

وَفِي اللّيْلِ وَقَبْلَ مَطْلِعَ الفَجْرِ بِقَلِيلٍ حَمَلَ كِيسًا مِنْ أَكْيَاسِ غَلَّتِهِ مِنْ مَخْزَنِهِ وَوَضَعَهُ فِي مَخْزَنِ أَخِيهِ دُونَ أَنْ يُشْعِرَهُ بِذَلِكَ ...

وَظَلَّ يَفْعَلَ هَذَا الفِعْلَ لَيَالِيَ مُتَعَدِّدَةٍ ...

كَانَ كُلُّ أَخٍ مِنْهُمَا يَتعَجّبُ عِنْدَمَا يَرَى مَخْزَنَهُ لَا يَنْقُصُ مِنْ أَكْيَاسِ الغَلَّةِ ... فَبِالرَّغْمِ مِنْ أَنَّ كُلَّ مِنْهُمَا يَأْخُـــذُ مِنْ

مَخْزَنِهِ كِياسًا مِنْ أَكْيَاسِ الغَلَّةِ كُلَّ لَيْلَةٍ لِكِنَّ أَكياسَ الغَلَّةِ لاَ تَنْقُصُ ...

وَفِي لَيْلَةٍ مِنَ اللّيَالِي تَأَخَّرَ الأَخُ الأَصْغَرُ عَنِ الوَقْتِ الّذِي يَقُومُ فِيهِ كُلَّ لَيْلَةٍ ... وَقَامَ الأَخُ الأَكْبَرُ مُبَكِّرًا فَي نَفْسِ اللّيْلَةِ عَنْ الوَقْتِ الّذِي تَعَوّدَ أَنْ يَقُومَ فِيهِ كُلَّ لَيْلَةٍ ... وَأَثْنَاءَ حَمْلِ كُلٌّ مِنْهُمَا لِكِيسِهِ وَفِي مُنْتَصَفِ الطَّرِيقِ تَقَابَلاَ الأَخَوَانِ ...

أَسْقَطَ كُلٌّ مِنْهُمَا كِيَسَهُ مِنْ عَلَى ظَهْرِهِ ... وَشَرَحَا لِبَعْضِهِمَا مَا يَقُومَانِ بِهِ كُلَّ لَيْلَةٍ ...

وَتَعَانَقَا عِنَاقًا حَارًّا وَانْفَلَتَتْ دُمُوعُهُمَا عَلَى خَدَّيْهِمَا ... وَدَعَيَا اللهَ لِوَالِدَيْهِمَا لأَنَّهُمَا رَبَّيَاهُمَا عَلَى حُبِّ كُلٌّ مِنْهُمَا لِلآخَرِ ...

صالح الأبناء يتقي الأبناء

نِصْفُ الصَّدِيقِ

فِي يَومٍ مِنَ الأَيَّام كَانَ الْمَلِكُ – كَمَا تَعَوَّدَ دَائِمًا – يَمْشِي بَيْنَ رَعِيَّتِهِ لِيَتَحَسَّسَ أَخْبَارَهُمْ وَلِيَتَفَقَّدَ أَحْوَالَهُمْ فَهُوَ مِنْهُمْ وَهُمْ مِنْهُ ...

لَفَتَ انْتِبَاهَ الْمَلِكِ رَجُلٌ أَشْيَبُ الشَّعْرِ مُنْحَنِيَ الظَّهْرِ يَقِفَ فِي حَانُوتِهِ (دكانه) مَعَ وَلَدِهِ الشَّابِّ، القَوِيِّ البِنْيَةِ الْمَفْتُولِ العَضَلَاتِ، يُعَلِّمُهُ مِمَّا عَلَّمَهُ الزَّمَنُ مِنْ خِبْرَةٍ فِي تِجَارَتِهِ الّتِي بَنَاهَا بِسَاعِدَيْهِ طِيلَةَ سَنَوَاتِ عُمْرِهِ... وَيَهْمِسُ فِي أُذُنَيْهِ بِكَلِمَاتٍ تُسْمِعُ مَنْ كَانَ قَرِيبًا مِنْهُمَا...

الرَّجُلُ التَّاجِرُ العَجُوزُ:

يَا بُنَيَّ كَمْ صَدِيقًا لَكَ ؟!!

الابْنُ : عَشَرَاتُ الأَصْدِقَاءِ يَا وَالِدِي العَزِيزِ ؟!!

وَيَرُدُّ الابْنُ سُؤَالَ أَبِيهِ عَلَيْهِ كَمَا هُوَ لاَ يُغَيِّرُ فِيهِ شَيْئًا:

وَأَنتَ يَا أَبِي كَمْ صَدِيقًا لَكَ ؟!!!

يرُدُّ الأَبُ بَعْدَ أَنْ أَخْرَجَ تَنْهِيدَةً تَحْمِلُ فِي طَيَّاتِهَا عَبَقَ السِّنِينَ الّتِي عَاشَهَا هَذَا التَّاجِرُ العَجُوزُ:

صَدِيقٌ وَنِصْفٌ !!!

يَتَعَجَّبُ الْمَلِكُ مِنْ رَدِّ الأَبِ عَلِى ابْنِهِ بِأَنَّ لَهُ صَدِيقٌ وَنِصْفٌ... ثُمَّ يَنْصَرِفُ الْمَلِكُ لِمَا خَرَجَ مِنْ أَجْلِهِ دُونَ أَنْ يَشْعُرَ بِهِ الرَّجُلُ وَابْنُهُ...

بَعَدَ أَنْ يَصِلَ الْمَلِكُ إِلَى قَصْرِهِ يَدُورُ فِي ذِهْنِهِ عَدَدُ أَصْدِقَاءِ التَّاجِرِ... صَدِيقٌ وَنِصْفٌ... كَيْفَ يَكُونُ ذَلِكَ؟!! لَمْ يَمُرَّ عَلَيهِ هَذَا الأَمْرُ منْ قَبلُ!!!

ثُمَّ يَأْمُرُ وَزِيرَهُ بِاسْتِدْعَاءِ التَّاجِرِ لِيَفُكَّ لَهُ هَذِهِ الشَّفْرَةَ الْمُحَيِّرَةَ ...

يَأْتِ التَّاجِرُ مُسْرِعًا إِلَى قَصْرِ الْمَلِكِ مُلَبِّيًا دَعْوَتَهُ وَكُلُّهُ اسْتِغْرَابٌ مِنْ هَذِهِ الدَّعْوَةِ الْمُفَاجِئَةِ ... وَيَقِفُ بَيْنَ يَدَيْهِ فِي احْتِرَامٍ شَدِيدٍ وَيَسْأَلُهُ:

لَقَدْ حَضَرْتُ سَيِّدِي الْمَلِكَ فَبِمَاذَا تَأْمُرَنِي ؟!!!

قَالَ الْمَلِكُ:

أَيُّهَا التَّاجِرُ لَقَدْ سَمِعْتُكَ وَأَنْتَ فِي حَانُوتِكَ تَقُولُ لِوَلَدِكَ أَنَّ لَدَيْكَ صَدِيقٌ وَنِصْفُ صَدِيقٍ... هُمَا مَنْ حَصَّلْتَهُمَا فِي كُلِّ سِنِينَ عُمُرِكَ... فَأَرْجُوا مِنْكَ أَنْ تُفَسِّرَ لِي مَا مَعْنَى نِصْفِ الصَّدِيقِ هَذَا...

قَالَ التَّاجِرُ: لِكَيْ أَشْرَحَ لَكَ سَيِّدِي الْمَلِكِ لَابُدَّ أَنْ تَأْمُرَ بِمَوْتِي شَنْقًا وَتَدَّعِي أَنَّنِي ارْتَكَبْتُ جَرِيمَةً تَسْتَوْجِبُ هَذَا الْحُكْمَ وَتُخْبِرُ كُلَّ أَهْلِ الْبَلْدَةِ بِمَوْعِدِ تَنْفِيذِ الْحُكْمِ !!!

فَتَعَجَّبَ الْمَلِكُ مِنْ ذَلِكَ وَأَمَرَ بِالْمُنَادِي يُنَادِي فِي أَرْجَاءِ الْمَمْلَكَةِ أَنَّ التَّاجِرَ الْفُلَانِيَّ سَوْفَ يُعْدَمَ شَنْقًا فِي الْيَوْمِ الْفُلَانِيِّ...

وَفِي اليَوْم الْمُحَدَّدِ وَعَلَى النُّصُبِ الّذِي سَيُشْنِقُ عَلَيْهِ التَّاجِرُ أَوْقَفَ الْمَلِكُ التَّاجرَ اسْتِعْدَادًا لِلشَّنْقِ ...

وَأَمَامَ هَذَا الْجَمْعِ الغَفِيرِ مِنَ الْمُلْتَفِّينَ لِيُشَاهِدُوا الإِعْدَامَ جَاءَ رَجُلٌ يَسْعَى مُنَادِيًا عَلَى الْمَلِكِ:

سَيِّدِي الْمَلِكِ لاَ تَشْنُقُوا هَذَا الرَّجُلَ وَأَنَا عَلَى اسْتِعْدَادٍ أَنْ أَفْدِيَهُ بِنِصْفِ مَا أَمْلِكُ مِنْ مَالٍ...

فَيَرْفُضُ الْمَلِكُ طَلَبَ الرَّجُلِ... فَيَزِيدُ الرَّجُلُ:

أَنَا عَلَى اسْتِعْدَادٍ لأَفْدِيَ هَذَا الرَّجُلَ بِكُلِّ مَالِي...

فَيَرْفُضُ الْمَلِكُ مَرَّةً أُخْرَى...

فَيَلْتَفِتُ الرَّجُلُ إِلَى صَدِيقِهِ الّذِي سَيُشْنَقُ وَيَقُولُ لَهُ :

انْظُرْ يَا أَخِي تَبَرَّعْتُ بِمَا أَمْلِكُ مِنَ الْمَالِ لِفِدْيَتِكَ وَلَكِنّ الْمَلِكَ رَفَضَ... فَهَلْ وَفَيْتُكَ حَقَّكَ ؟!!!

قَالَ التَّاجِرُ: نَعَمْ يَا صَدِيقِي ... نِعْمَ الوَفَاءُ ...

وَيَأْتِي رَجُلٌ آخَرُ وَيُنَادِي وَسَطَ الْجُمُوعِ الْحَاشِدَةِ:

سَيِّدِي الْمَلِكُ ... لاَ تَشْنُقُوا هَذَا الرَّجُلَ لأَنَّهُ لَمْ يَرْتَكِبْ

الْجَرِيمَةَ الْمَنْسُوبَةَ إِلَيْهِ ... أَنَا الّذِي أَسْتَحِقُّ الشَّنْقَ ... أَنَا الَّذِي قُمْتُ بِتَنْفِيذِ هَذِهِ الْجَرِيمَةِ الّتِي سَيُعْدَمُ مِنْ أَجْلِهَا هَذَه الرَّجُلُ ... إِنَّهُ بَرِيءٌ ... أَنَا الْمُذْنِبُ ... لاَ تَعْدِمُوهُ ... لاَ تَعْدِمُوهُ ...

أَمَرَ الْمَلِكُ بِإِنْزَالِ التَّاجِرِ مِنْ عَلَى مِنَصَّةِ الشَّنْقِ ...

ثُمَّ تَوَجَّهَ الأَمِيرُ إِلَى الرَّجُلِ وِقَالَ لَهُ:

حَسَنًا سَنُعْدِمَكَ بَدَلاً مِنَ التَّاجِرِ ...

أَجَابَ الرَّجُلُ: نَعَمْ أَعْدِمُونِي فَأَنَا الْمُذْنِبُ وَلَيْسَ هُوَ...

يَأْخُذُ الْحُرَّاسُ الرَّجُلَ إِلَى الْمِنَصَّةِ وَيُوثِقُونَهُ بِالْحِبَالِ...

يُنَادِي الأَمِيرُ عَلَيْهِ: أَلاَ تَرْجِعُ فِي كَلاَمِكَ أَيُّهَا الرَّجُلُ ؟

الرَّجُلُ: لاَ إِذْهَبْ يَا أَخِي التَّاجِرُ إِلَى بَيْتِكَ وَعِيَالِكِ ...

وَحِينَهَا الْتَفَتَ التَّاجِرُ إِلَى الأَمِيرِ مُبْتَسِمًا وَقَالَ لَهُ:

أَرَأَيْتَ يَا مَوْلاَي الفَرْقَ بَيْنَ الصِّدِيقِ وَنِصْفِ الصَّدِيقِ...

مَنْ يَفْدِيكَ بِنَفْسِهِ فَهُوَ الصَّدِيقُ ...

وَمَنْ يَفْدِيكَ بِمَالِهِ فَهُوَ نِصْفُ الصَّدِيقِ

ابْنُ البَخِيلِ وَالضَّيْفُ

نَزَلَ ضَيْفًا عَلَيْهِمْ ... وَتَذَكَّرِ فِي نَفْسِهِ أَنَّ هَذَا الرَّجُلَ كَانَ بَخِيلاً جِدًّا ...

وَكَانَ صَدِيقًا حَمِيمًا لَهُمْ ... وَلَكِنَّهُ مُنْذُ مُدَّةً لَمْ يَحْضِرْ عِنْدَهُمْ ...

رَحَّبَ الأَبُ بِالضَّيْفِ تَرْحِيبًا شَدِيدًا ... وَقَالَ لَهُ عَلَى مَضَضٍ:

أَتُرِيدُ أَنْ تَتَعَشَّى مَعَنَا يَاضَيْفَنَا العَزِيزَ ؟!!!

رَدَّ الضَّيْفُ:

نَعَمْ ياعَزِيزِي فَأَنَا مُنْذُ عِدَّةِ أَيَّامٍ وَأَنَا فِي الطَّرِيقِ لَمْ أَتَنَاوَلْ إِلاَّ طَعَامًا يَسُدُّ رَمَقِي وَيُخْفِضْ صَوْتَ مَعِدَتِي ...

الْتَفَتَ الرَّجُلُ صَاحِبُ البَيْتِ إِلَى ابْنِهِ وَقَالَ لَهُ:

اذْهَبْ يَا بُنَيَّ إِلَى الْجَزَّارِ وَاحْضِرْ لَحْمًا مِنْ أَجْوَدِ أَنْوَاعِ اللُّحُومِ ...

فَقَالَ الوَلَدُ: سَمْعًا وَطَاعَةً يَا أَبَتَاهُ ...

قَالَ الضَّيْفُ فِي نَفْسِهِ:

مَا هَذَا الكَرَمُ الَّذِي اتَّصَفَ بِهِ هَذَا الرَّجُلُ ؟!!! ثُمَّ أَجَابَ عَلَى نَفْسِهِ: لَعَلَّ الزَّمَنُ فَعَلَ بِهِ شَيْئًا فَتَنَازَلَ عَنْ صِفَةِ البُخْلِ... الَّتِي كَانَتْ مُلاَزِمَةً لَهُ ... وَتَغَيَّرَ الرَّجُلُ فَأَنَا لَمْ أَرَهُ مُنْذُ مُدَّةً ...

ذَهَبَ الوَلَدُ وَغَابَ وَقْتًا ثُمَّ جَاءَ دُونَ أَنْ يَحْضِرَ شَيْئًا...

تَعَجَّبَ الضَّيْفُ وَزَالَ عَجَبُهُ عِنْدَمَا سَأَلَ الأَبُ ابْنَهُ:

لِمَاذَا لَمْ تَحْضِرِ اللَّحْمَ يَا وَلَدِي ؟!!!

رَدَّ الوَلَدُ عَلَى أَبِيهِ: ذَهَبْتُ لِلْجَــزَّارِ وَقُلْتُ لَهُ أَعْطِنِي

لَحْمًا مِنْ أَجْوَدِ أَنْواعِ اللّحْم ... فَأَجَابَ الْجَزَّارُ بِقَوْلِهِ:

سَأُعْطِيَكَ لَحْمًا كَأَنَّهُ الزُّبْدُ ...

فَقُلْتُ فِي نَفْسِي أَشْتَرِي زُبْدًا بَدَلاً مِنَ اللّحْمِ ...

ثُمَّ ذَهَبْتُ لِبَائِعِ الزُّبْدِ وَقُلْتَ لَهْ:

أَعْطِنِي زُبْدًا مِنْ أَجْوَدِ الأَنْوَاعِ ...

فَقَالَ لِي بَائِعُ الزُّبْدِ:

سَأَعْطِيَكَ زُبْدًا كَأَنَّهُ العَسَلُ مِنْ حَلاَوَتِهِ ...

فَقُلْتُ فِي نَفْسِي: بَدَلاً مِنْ أَنْ أَشْتَرِيَ زُبْدًا كَأَنَّهُ العَسَلُ أَشْتَرِى عَسَلاً أَفْضَلَ ...

فَذَهَبْتُ لِبَائِعِ العَسَلِ وَقُلْتُ لَهُ:

أَعْطِنِي عَسَلاً مِنْ أَحْسَنِ نَوْعٍ عِنْدَكَ !!!

فَقَالَ بَائِعُ العَسَلِ: سَأَعْطِيَكَ عَسَلاً كَأَنَّهُ الْمَاءِ الصَّافِيَ...

فَقُلْتُ نَحْنُ عِنْدَنَا الْمَاءُ الصَّافِي فَلِمَا اشْتَرِ العَسَلَ ؟!!

وَرَجَعْتُ مِنْ غَيْرِ أَنْ أَشْتَرِيَ شَيْئًا ... لأَنَّنَا نَمْلِكُ

الْمَاءَ الصَّافِيَ ...

فَقَالَ الأَبُ:

بَارَكَ اللهُ فِيكَ ... كَرِيمٌ مِثْلَ أَبِيكَ وَمِنْ بَيْتٍ كُلُّهُ كَرَمٌ...

وَالضَّيْفُ يَسْمَعُ كُلَّ هَذَا وَيَتَأَلَّمُ ...

ثُمَّ انْحَنَى الأَبُ عَلَى أُذِنِ وَلَدِهِ وَقَالَ:

لَعَلَّكَ اسْتَهْلَكْتَ نعْلَكَ فِي التَّنَقُّلِ مِنْ دُكّانٍ إِلَى دُكَّانٍ...

قَالَ الوَلَدُ: لاَ تَقْلَقْ يَا وَالِدِي لَمْ يَفُتْنِي ذَلِكَ ... لَقَدْ كُنْتُ أَلْبسَ نَعْلَ الضَّيْفِ ...

ليس بعد البخل ذنب

كَيْفَ تَمَّ اخْتِرَاعِ النِّعَالِ

أَمَرَ الْمَلِكُ حَاشِيَتَهُ بَأَنْ يَضْرِبُوا لَهُ مَوْعِدًا يَخْرُجُ لِلتَّرَيِّضِ وَالصَّيْدِ وَالقَنْصِ فِيهِ وَسَطِ الغَابَاتِ الّتِي تَبْعُدُ مَسَافَةً كَبِيرَةً عَنْ قَصْرِهِ الَّذِي يَعِيشُ فِيهِ ...

وَلأَنَّ هَذِهِ الرِّحَلاَتِ الّتِي يَقُومُ بِهَا الْمَلِكُ كَانَتْ رِحَلاَتُ سَيْرٍ عَلَى الأَقْدَامِ فَكَانَتْ الْحَاشِيَةُ تُجَهِّزُ لَهَا أَيَّامًا وَتُكَرِّسُ لَهَا الْجُهُودَ فِي إِعْدَادِ الْحَاجَاتِ اللاّزِمَةُ لِلْمَسِيرِ...

جَهّزَ الْخَدَمُ وَالْحَشَمُ العُدَّةَ وَالعَتَادَ ... وَنَادَى الْمَلِكُ أَصْدِقَاءَهُ وَحَاشِيَتَهُ الْمُحَبَّبَةَ إِلَيْهِ ... وَخَرَجَ الْجَمِيعُ سَـــيْرًا

عَلَى أَقْدَامِهِمْ إِلَى الغَابَاتِ ...

وَصَلَ الوَفْدُ الْمَلَكِيُّ إِلَى الغَابَةِ ... وَضَرَبَ الْخَدَمَ وَالْحَشَمُ الْخِيامَ ... وَقَامَ الْمَلِكُ وَأَصْدِقَائُهُ بِالصَّيْدِ وَالقَنْصِ... وَلَمَّا انْتَصَفَ النَّهَارُ ورَجَعَ الْجَمِيعُ إِلَى الْمُخَيَّمِ لِيَتَنَاوَلُوا طَعَامَ الغَدَاءِ ...

كَانَ الطَّعَامُ لَحْمًا مَشْوِيًّا مِنَ الغِزْلَانَ وَالأَرَانَبِ البَرِّيَّةِ الّتي اصْطَادَهَا الْمَلِكُ وَحَاشِيَتُهُ ...

بَعْدَ هَذِهِ الوَجْبَةِ الدَّسِمَةِ ذَهَبَ الْجَمِيعُ لأَمَاكِنِ الْمَقِيلِ لِيَأْخُذْ كُلٌّ مِنْهُمْ قِسْطًا مِنَ الرَّاحَةِ يَشُدَّ بِهِ عَزِيمَةَ جَسَدِهِ فَأَمَامَهُمْ مَسِيرَةٌ طَوِيلَةٌ لِلْعَوْدَةِ إِلَى قُصُورِهِمْ وَمَنَازِلِهِمْ ...

رَجَعَ الوَفْدُ الْمَلَكِيُّ إِلَى الْمَدِينَةِ وَدَخَلَ الْمَلِكُ قَصْرَهَ بَعْدَ جَهْدٍ وعَنَاءٍ شَدِيدَيْنِ وَقَدْ أَصَابَ رِجْلَيْهِ تَوَرُّمًا كَبِيرًا وَأَلَمًا شَدِيدًا مِنْ كَثْرَةِ الْمَشْي وَالسَّعْي فِي هَذِهِ الرِّحْلَةِ الطَّوِيلَةِ ...

كَـــانَ هَؤُلاَءِ القَوْمِ لاَ يَلْبسُونَ شَيْئًا يَحْمِي أَقْدَامَهُمْ مِنْ

شِدَّةِ حَرَارَةِ التُّرَابِ وَوعُورَةِ الطَّرِيقِ .... لأَنَّهُمْ كَانُوا لاَ يَزَالُونَ لاَ يَعْرِفُونَ الأَحْذِيَةَ وَلاَ النِّعَالِ ...

اسْتَدْعَى الْمَلِكُ وَزِيرَهُ وَأَمَرَهُ أَمْرًا شَدِيدَ الغَرَابَةِ ... فَقَدْ أَمَرَهُ أَنْ يَفْرِشَ جَمِيعَ طُرُقَاتِ الْمَدِينَةِ بِجُلُودِ الْحَيَوَانَاتِ لِكَيْ تَحْمِي أَقْدَامِ الْمَلِكَ مِنْ حَرَارَةَ التُّرَابِ وَوعُورَةِ الطَّرِيقِ...

اسْتَغْرَبَ الوَزِيرُ كَيْفَ لَهُ أَنْ يَقُومَ بِفَرْشِ كُلَّ طُرُقَاتِ الْمَدِينَةِ مَعَ طُولِهَا وَعَرْضِهَا الكَبِيرَيْنِ بِجُلُودِ الْحَيَوَانَاتِ ...

فَكَّرَ الوَزِيرُ كَيْفَ يُرْضِي الْمَلِكُ وَفِي نَفْسِ الوَقْتِ يَتَجَنَّبُ تَنْفِيذِ هَذَا الأَمْرِ الْمَلَكِيِّ ...

اسْتَدْعَى الوَزِيرُ كُلَّ الْمُسْتَشَارِينَ فِي الْمَمْلَكَةِ وَعَرَضَ عَلَيْهِمُ الأَمْرَ ... فَقَامَ أَحَدُ الْمُسْتَشَارِينَ وَعَرَضَ هَذِهِ الفِكْرَةَ العَبْقَرِيَّةَ ...

قَالَ الْمُسْتَشَارُ لِلْوَزِيرِ: سَيِّدَي الوَزِيرِ إِنْ كَانَ لاَ يُمْكِنُنَا فَــرْشَ كُلِّ طُرُقَاتِ الْمَدِينَةِ بِجُلُودِ الْحَيَوَانَاتِ لَكِنْ يُمْكِنُنَا

حِمَايَةَ قَدِمِ الْمَلِكِ بِأَنْ نَصْنَعَ لَهُ قِطْعَةَ جِلْدٍ صَغِيرَةٍ تَحْتَ قَدَمَيْهِ لِحِمَايَتِهِمَا فَقَطْ ...

وَكَانَتْ هَذِهِ بِدَايَةَ صِنَاعَةِ النِّعَالِ (الأَحْذِيَةِ) ...

إِذَا أَرَادَ الْمَرْءُ أَنْ يُغَيِّرَ العَالَمَ فَلَنْ يَسْتَطِيعَ... فَلاَبُدَّ أَنْ يُغَيِّرَ مَا فِي نَفْسِهِ أَوَّلاً فَسَيَتِمُّ بَعْدَ ذَلِكَ تَغْيِرِ العَالَمِ بَأَسْرِهِ...

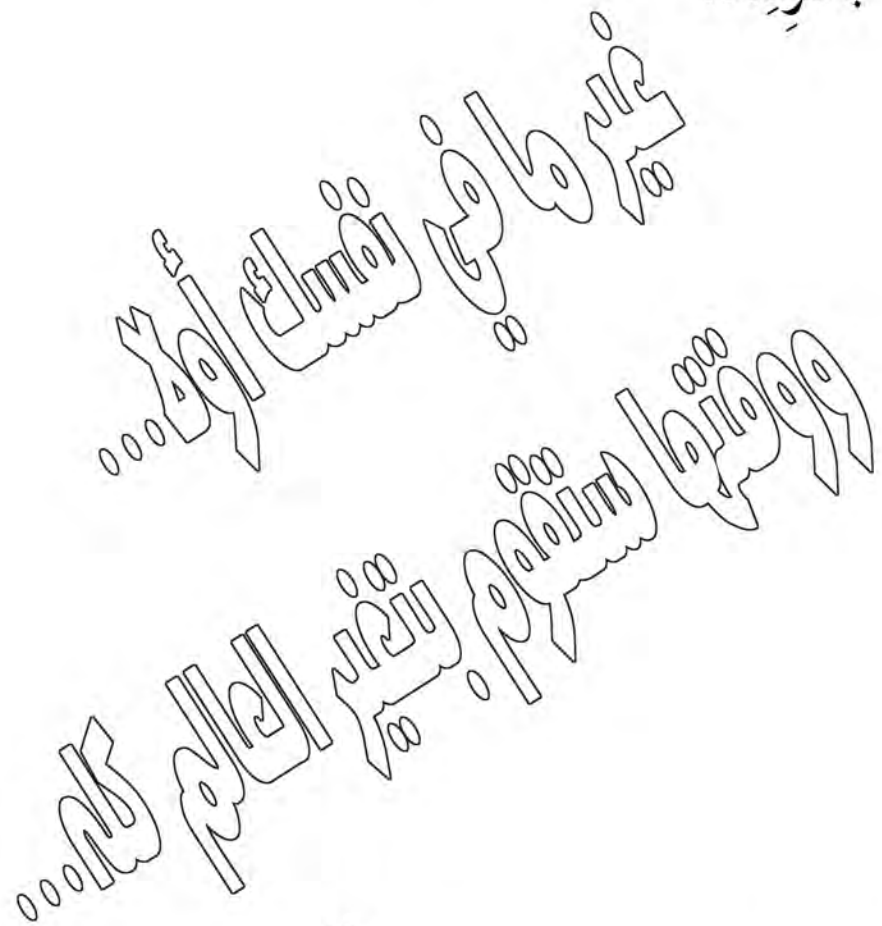

السّمَكةُ المَنسيّةُ وَالبُلبلُ الذَّكيُّ

ذَهبَ إبْراهيمُ معَ والِدهِ رِضَا إلَى الاسْكندَريةِ لِيقضُوا أسُبوعًا منْ أسَابيعِ الصّيفِ الْحارِّ علَى شاطِئِهَا الْجميلِ وَلِيستَمتِعَا بَهوَاءِهَا الرّطبِ العَلِيلِ...

وَفِي يَومٍ منَ الأيّام خَرجَ إبْراهيمُ مَع أبِيهِ رِضَا إلَى البَحرِ الوَاسعِ الشّاسعِ الّذي لاَ تَرَى آخرًا لِشاطِئهِ الْمُمتَدِّ عَلى أرضِ الاسكندَريّةِ الْجَميلةِ...

وَأثناءَ اسْتحمَامِ إبْراهيمَ وَتَمتُّعِهِ معَ أصحَابهِ وَأقْرانهِ فِي مِياهِ البَحرِ الْجمِيلةِ وَجدَ سَمكةً صَغِيرةً لَهَا ألوانٌ عَديدَةٌ وَجَميلةٌ فَأخَذَهَا ووَضعَهَا فِي إنَاءٍ كانَ معهُ ووَضعَ قَدرًا منَ الْماءِ لِكيْ لاَ تَموتَ السّمكةُ؛ لأنَّ السّمكَ إذَا خَرجَ منَ الْمَاءِ فَقدَ حَياتَهُ وَمَاتَ...

كانَ الإناءُ الّذي وُضعتْ فيهِ السّمكةُ صغِيرًا جِدًّا ..

كانتِ السّمكةُ قَبلَ فَترةٍ قَصيرةٍ فِي البَحرِ الوَاسعِ الشّاسعِ الّذِي لَيسَ لَهُ حُدودٌ، وفَجأةً وَجدتْ نَفسَهَا فِي مَكانٍ لا يَكادُ يتّسعُ لِحرَكتِهَا...

وعندَمَا جاءَ وَقتُ الرّحيلِ نَادَى رِضَا عَلَى ابنِهِ إبْراهيمَ باستِعجالٍ لِكيْ يُغَادِرُوا الشَّاطِئَ وَيتوجّهُوا إلى مَسكَنِهِمْ وَمنْ شدةِ اسْتعجالِ الأبِ لابنِهِ نَسيَ الصّبِيُّ السّمكةِ فِي الإنَاءِ عَلَى شَاطِئِ البَحرِ...

كانتِ السّمكةُ حَزينةٌ مَهمومَةٌ تَبحثُ عَنْ أيِّ طَريقةٍ تَخرجُ بِها منَ الإنَاءِ الّذِي حبَسهَا فِيهِ الغَلامُ بِغيرِ قَصدٍ مِنهُ

لَلعودَةِ إلَى البَحرِ فَلاَ تَجدُ ..

حَاولتِ القَفزَ ففَشلتْ، دَارتْ بِسرعةٍ، وَحاولتِ الْخُروجَ، فَارتَطمتْ بِجدارِ الإنَاءِ الصّلبِ ..

كَانَ البُلبلُ الْجميلُ ذُو الرّيشِ الزَّاهِيِّ الأَلْوانِ يُرقِبهَا وَلاَ يعرِفُ لِمَاذَا تَدُورُ وَتقفزُ هَكذَا، وَمَا سَببُ حَالةِ الرّعبِ وَالْخوفِ وَالزُّهولِ الّتِي تَنتابُ هذهِ السَّمكةِ الْمسْكِينَةِ ؛ فَاقتَربَ منِ الإناءِ وَقالَ للسّمكةِ:

مَا بِكَ أيّتُهَا السّمَكةُ الْجَميلَةُ ، أمَا تَعبتِ منْ كُلِّ هَذَا الدَّورَانِ وَالقفْزِ ؟؟..

قَالتِ السَّمكةُ بِأَلَمٍ :

ألاَ تَــرَى الْمصِــيبَةَ الّتِي أصَابَتنِي؟؟..

قَالَ البُلبلُ دُونَ أنْ يَفهمَ شَيئًا :

مُصِيبةٌ !!

أعُوذُ بِاللهِ مِنْ كُلِّ شَرٍّ وَبَليَّةٍ... أيُّ مُصِيبَةٍ؟!!!

أنْتِ تَلعَبِينَ... وَتَقولِينَ أنكِ فِي مُصيبَةٍ ؟؟..

ردّتِ السّمكةُ فِي أَسَى وَمرارَةٍ:

سَامَحكَ اللهُ... تَقولُ ألعبُ وَأنا فِي هَذِهِ الْحالِ الصعبةِ، ألعبُ وَأنَا بَعيدةٌ عنِ البَحرِ ومَاءِهِ الْجميلِ، ألعبُ وَقدْ تَركنِي الصّبِيُّ فِي هَذا الإنَاءِ وَمضَى هَكذَا دُونَ أنْ يَشعرَ بِعَذابِي!!..

كيفَ ألعبُ وأنَا دُونَ طَعامٍ ؟؟..

كَيفَ ألعبُ وَأنَا سَأموتُ بَعدَ حِينٍ إذَا بَقيتُ بَعيدةً عَنِ البَحْرِ ؟!!!.

قَالَ البُلبلُ الْجَميلُ:

أنَا آسفٌ..

فعْلاً لَمْ أنتبهُ..

رَأيتُ إنَاءً جَميلاً وَسَمكةً ألوَانُهَا مَتعدِّدةٌ وَزَاهيةٌ تَتحرّكُ وَتدُورُ، فَظننْتُ أنَّكِ تَرقصِينَ فَرحًا.

أتَمَنّى أنْ أستطيعَ الوُصولَ إلَيكِ، لَكنْ كَمَا تَرينَ مَدخَلَ الإنَاءِ ضَيِّقٌ وَالْمَاءُ الّذِي فِيهِ قَلِيلٌ، وَأنْتِ أكبَرُ حَجمًا مِنِّي،

كَيفَ أصِلُ إلَيْكِ ؟؟

وَإنْ وصَلتُ إليكِ كَيفَ أحْمِلُكِ ؟؟..

قَالتِ السّمَكةِ فِي حُزْنٍ شَديدٍ:

إنّني فِي حِيرَةٍ منْ أمْري..

لا أدْرِي مَاذَا أفعَلُ ! أُحبُّ الْحرِّيَةِ ، أُريدُ أنْ أعُودَ إلى البَحْرِ الْحبِيبِ ، هُناكَ أسْبَحُ كَمَا أُريدُ، أنْتَقِلُ منْ مَكانٍ إلَى مَكانٍ كَمَا أشَاءُ...

قَالَ البُلبلُ الجميلُ:

سَأحَاولُ مُساعَدَتِكِ ، انْتَظرِي وَسَأعُودُ بعدَ قَليلٍ...

طَارَ البُلبلُ الْجميلُ مُبتعدًا ، وأثناء طيرانه التَقَى بِجَماعَةٍ منَ الْحَمامِ الأبْيضِ النّاصِعِ...

طَلَبَ البُلبلُ منْ جَماعَةِ الْحمَامِ أنْ يُسَاعدُوه فِي إنقَاذِ السّمكةِ الْمسكِينَةِ التِي تُريدُ الْخَلاصَ منْ سِجنِهَا الضّيقِ الّذِي وَضعهَا فِيهِ الصّبِيُّ وَرَحلَ ونَسِيَهَا ...

وَافَقَتْ جَماعَةُ الْحمامِ ، وَطارَت نَحوَ الإنَاءِ وحَاولَتْ

حَمْلِهِ فَلمْ يَستَطيعُوا ...

فَقالَتِ الطُّيورُ بَعضُهَا لِبعضٍ:

لابُدَّ أنْ نَصنعَ الْمستحِيلَ لِكيْ نُنقذَ هَذهِ السَّمكةَ الْمِسكينَةَ منَ الْموتِ الْمُحققِّ...

حَاولُوا مَرةً ومرةً حَتَّى نَجَحُوا فِي حَملِ الإنَاءِ وَبِهِ السّمَكةُ ثُمَّ تَركوهُ يَقعُ فِي البَحْرِ ...

كانَتْ فَرحةُ السّمكةِ لاَ تُقدّرُ بِثمنٍ وَهِيَ تَخرجُ سَابِحةً إلَى بَحرِهَا الْحبيبِ ...

قفَزتْ عَلى وَجهِ الْماءِ وَصَاحتْ بِسرُورٍ :

شُكْرًا لَكمْ جَميعًا عَلى مَا قُمْتمْ بِهِ ..

شُكرًا لَكَ يَا صِديقِي البُلبلِ الْجمِيلِ ..

وَغَطستْ فِي الْماءِ وَهِيَ تُغَنّي أجْملَ أُغنِيَّةٍ للحُريّةِ وتَقُولُ :

نَعمْ... إنَّ الْحُريّةَ لاَ تُقدّرُ بِثمنٍ....

نَعَمْ... إنَّ التَّعَاونَ يَصلُ بِنَا إلَى بَرِّ الأمَانِ...

نَعَمْ... لاَبُدَّ أنْ يُساعدَ الصَّديقُ صَديقَهُ إذَا وَقَعَ فِي مِحنَةٍ أوْ أصَابَتْهُ مُصيبَةٌ ...

نَعَمْ... سَتُصبِحُ الْحَياةُ أحْلَى وَأحْلَى...

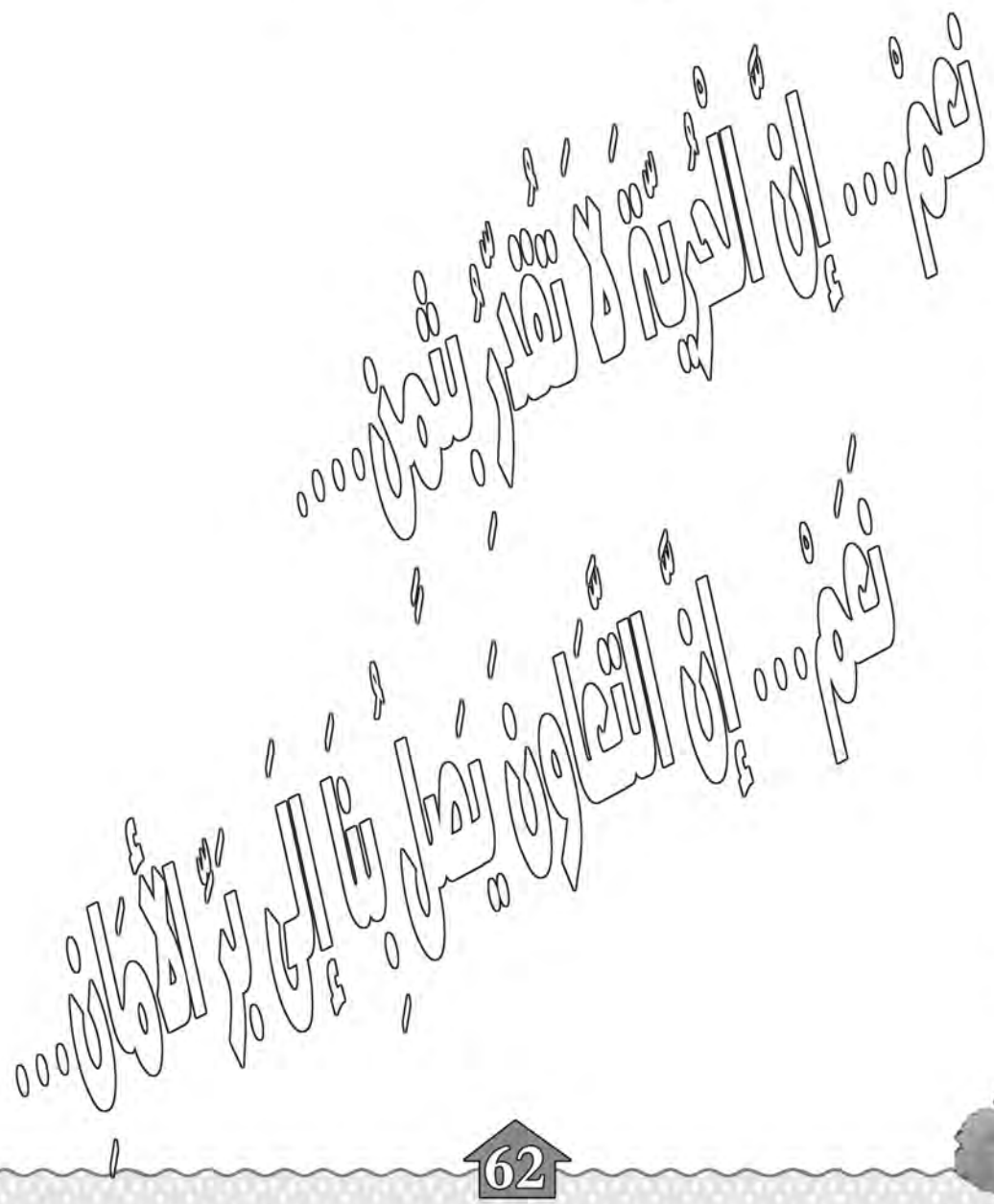

فهرس

١ – الْحَاجُ أحْمَدُ..... ٣

٢ – الْحِيلَةُ الذَّكِيَّةُ..... ٩

٣ – الخَرُوفُ المَغْرُورُ..... ١٤

٤ – البَابُ الخَلْفِيُّ..... ٢٠

٥ – الجَدَّةُ وَحَفِيدُهَا..... ٢٥

٦ – الكِتَابَةُ عَلَى الصَّخْرِ..... ٣٠

٧ – الحَاكِمُ وَالصَّخْرَةُ..... ٣٥

٨ – الأخَـــوانِ ٣٩

٩ – نِصْفُ الصَّدِيقِ ٤٣

١٠ – ابْنُ البَخِيلِ وَالضَّيْفُ..... ٤٨

١١ – كَيْفَ تَمَّ اخْتِرَاعِ النَّعَالِ..... ٥٢

١٢ – السّمكةُ الْمنسِيةُ والبُلبلُ الذّكيُّ..... ٥٦

ليس هذا كل ما أريد أن أحكيه...

هناك الكثير والكثير...

جدو علي...

حكايات جدو علي

علي بدوي

لحفيدته: آسية

حكايات جدو علي

حكايات للبنين

علي بدوي

رقم الإيداع بدار الكتب والوثائق المصرية مصر
2015/10548
الترقيم الدولي
978-977-413-070-0